

## المبحث الأول:

### مفهوم الأسلوب والأسلوبية:

#### 1- مفهوم الأسلوب\*:

يُحدّد ( معجم الأسلوبية) الأسلوب ( Style ) كما يلي:

" وفي أبسط معانيه يدل الأسلوب على طريقة التعبير في الكتابة أو الكلام، مثلما أنّ هناك طريقة في عمل أشياء معينة مثل لعب السكواش أو الرسم، وربما نتحدّث عن كتابة شخص بأنها ذات أسلوب منمّق أو عن كلام شخص ما بأنه ذو أسلوب هزلي"<sup>1</sup>.

ويرى بيير غيرو P. Guiraud أن الأسلوب: " طريقة في الكتابة، وهو من جهة أخرى، طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب، ولجنس من الأجناس، ولعصر من العصور"<sup>2</sup>.

وإذا فحص الكاتب ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية اكتشف أنه يقوم على ركّج ثلاثيّ دعائمه هي: " المخاطب، والمخاطب، والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت إبيستيميا إحدى هذه الركائز الثلاث أو ثلاثتها متعاضدة متفاعلة"<sup>3</sup>.

وأول ما يطالعنا في اعتماد التفكير الأسلوبي على المخاطب تعريف الأسلوب "بأنه قوام الكشف لَمَط التفكير عند صاحبه، وتتطابق في هذا المنظور ماهية الأسلوب مع نوعيّة الرسالة المبلّغة مادة وشكلاً"<sup>4</sup>.

واعتماد هذا المقياس في تحديد الأسلوب عريق في القدم، متجدّد ما انفكّ يستهوي رواد التنظير، والسبب في ذلك أن العلاقة العضوية بين اللاّفظ والملفوظ من العمق والحدّة أحيانا بحيث يتعدّر على الفاحص فصل الباعث والمبعوث وجودا.

هذا المنحى في تحديد ماهية الأسلوب هو بمثابة المعيار الدلالي لمحتوى الرسالة المبلّغة وهي ظاهرة يعلّلها بعض رواد التفكير الأسلوبي في المشرق بأنّ: " الصورة اللفظية التي هي أول ما يُلقى من الكلام لا يمكن أن تحيا مستقلة وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي انتظم وتألّف في نفس الكاتب أو المتكلم، فكان بذلك أسلوبا معنويا ثم تكوّن التأليف اللفظي على مثاله وصار ثوبه الذي

---

\* جاء في (لسان العرب) مادة س ل ب: الأسلوب يقال للشطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، و(الأسلوب) الطريق، والوجه، والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، و.. (الأسلوب) الفن، يقال أخذ فلان في أساليب القول، أي في أفانين من القول. (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ط1، (1990)، المجلد 17، ص: 456).

<sup>1</sup> - ناظم حسن، البنى الأسلوبية- دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002، ص: 20.

<sup>2</sup> - غيرو بيير، الأسلوبية، ترجمة: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط2، (د ت)، ص: 9.

<sup>3</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006، ص: 51.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 52.

لبسه أو جسمه إذا كان المعنى هو الروح، ومعنى هذا أن الأسلوب معان مُرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة وهو يتكون في العقل قبل أن يجري به اللسان أو يجري به القلم<sup>1</sup>.

وتبدأ عملية الإنشاء عند المنشئ بوجود مثيرات أو انفعالات أو محركات داخلية نابعة من ذاته، أو خارجية من البيئة المحيطة به، هذه المثيرات تتحول إلى أفكار ومعان في ذهن صاحبها، ثم تترجم إلى عبارات لفظية تمثل أسلوب المنشئ.

ويعني ذلك أنّ "كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب"<sup>2</sup>.

أما المظهر الثاني من مظاهر نظرية تحديد الأسلوب اعتماداً على المؤلف الباث فهو امتداد للمظهر الأول، ويتمثل في تكثيف درجة التطابق بين مفهوم الأسلوب والذي إليه ينتمي، فلا يقتصر التناظر على تقريب صورة الأسلوب من صورة فكرٍ باثٍّ وإنما يغدو الأسلوب هو ذاته شخصية صاحبه، وهو حدٌّ من التمازج تختلط فيه تلقائية الأسلوب والذات المفردة له. ومردُّ هذه الوجهة قوله بيفون Buffon: "إنّ من الهين أن تُنزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تُبدّل، بل كثيراً ما تترقّى إذا ما عالجها مَنْ هو أكثر مهارة من صاحبها، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه"<sup>3</sup>.

ولقد أثر بيفون Buffon بنظرية هذه في كل الذين جاؤوا بعده من رواد النقد الأدبي ومنظري الأسلوب فتبنّاها شوبنهاور Schopenhauer فعرف الأسلوب بكونه ملامح الفكر، وتمثلها فلوبير Flaubert ثم صاغها فقال: "يُعتبر الأسلوب وحده طريقة مطلقة في تقدير الأشياء"<sup>4</sup>، وكذلك فعل ماكس جاكوب M. Jacob إذ قال: "إن جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته"<sup>5</sup>.

وهكذا تنتزل نظرية تحديد الأسلوب منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبات شخصية الإنسان، ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صرّح به وما ضمّن، فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقاً.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص: 52.

<sup>2</sup> - أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية - مدخل نظري ودراسة تطبيقية - دار الآفاق العربية، ط 1، 2008، ص: 12.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 27، 28.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 54.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 54.

فالأسلوب: " اشتقاق الأديب من الأشياء ما يتلاءم وعبقريته "<sup>1</sup>، وهو ما يجيل إلى تعريف أحد مفكري القرن الثامن عشر إذ يقول: " يُطلق الأسلوب على ما ندر ودق من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية الإنسان وبراعته فيما يكتب أو يلفظ "<sup>2</sup>.

ثم إنّ التسليم بتطابق الأسلوب والعبقرية قد حتم القول بقوة الدفع التلقائي في عملية إفراز الأسلوب مما أفضى بالباحثين إلى تقرير أنه في نشأته وفي تشكُّله وكذلك في بلوغ تمامه ظاهرة غير واعية؛ معنى ذلك أن نسيج الإبداع الفني لدى الأديب من التلقائية بحيث يغدو تولّدا لا يصحبه الإدراك في لحظة نشأته الأولى، وعلى هذا المستند عرّف الأسلوب "بأنه بصمات تحملها صياغة الخطاب فتكون كالشهادة التي تمنح، وهذه الصورة صاغها بروسـت Proust وأخذها عنه كل من مـونـان، ودي لوفر، وهي تكشف عمق التقدير في ارتباط الأسلوب بصاحبه عضويا حتى لكأن الأسلوب (إمضاء) أو (خاتم) أو في اصطلاح عرف المؤسسات "طابع وتوقيع" <sup>3</sup>.

أما تحديد ماهية الأسلوب باعتماد جوهر الخطاب في ذاته فلعله الركن الضارب في مجمع رؤى الحداثة لما يتجذر فيه من ركائز المنظور اللساني، " فإذا كان الأسلوب في (فرضية المخاطب) صفيحة الانعكاس لأشعة الباطن فكرا وشخصية، وكان في (فرضية المخاطب) رسالة مُغلقة على نفسها لا تفضّ جدارها إلا يدا من أرسلت إليه، فإنّه في (فرضية الخطاب) موجود في ذاته "<sup>4</sup>.

يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لاشك، ولكن دون أن تُعلّق ماهيته على أحد منهما، وصورة ذلك أنّ النص إن كان وليدا لصاحبه فإنّ الأسلوب هو وليد النص ذاته لذلك يستطيع الأسلوب أن ينفصل عن المؤلّف المخاطب لأنّ رابطة الرحم بينهما حضورية في لحظتي الإبداع والإيقاع، " وهذا المنظار في تحديد ماهية الأسلوب يستمدّ ينابيعه من مقومات الظاهرة اللغوية في خصائصها البارزة ونواميسها الخفية "<sup>5</sup>.

والمُنظِّرون لتحديد الأسلوب من زاوية النص يفرّقون بين وضع اللغة الكائنة في طيات معاجمها، ووضعها حين تخرج إلى مجال الاستخدام. فهذا التعريف يتعامل مع اللغة على أساس أنها ذات مستويين: الأول ساكن، ويتمثل في وجودها قبل خروجها إلى حقل الاستعمال الخارجي، والآخر متحرك،

<sup>1</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص: 55.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ص: 55، 56.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 56.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 71.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 71.

ويقصد به " اللغة حين تخرج من أطرها المعجمية بما تحوي من قواعد نحوية وصرفية إلى ميدان عملها كي تؤدي وظيفتها الإخبارية المنوطة بها، ونعني بها نقل الأفكار وتوصيل المعلومات "<sup>1</sup>.

ويرجع هذا المفهوم إلى اللغوي السويسري دي سوسير De Saussure الذي أسس المدرسة الوصفية في العلوم اللغوية. وقد قامت هذه المدرسة على أساس " ما يمكن أن نسميه بالثنائية اللغوية، وهي ثنائية تقسم النظام اللغوي إلى مستويين: مستوى اللغة (Langage)، ومستوى الخطاب (Parole)، ويشتمل المستوى الأول على قواعد البنية الأساسية للغة، بينما يمثل المستوى الثاني اللغة في حالة الاستخدام "<sup>2</sup>.

وتكاد جل التيارات التي تعتمد الخطاب أساً تعريفياً للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك المُوحد بينها ويتمثل في " مفهوم الانزياح (L'écart) ولئن استقام له أن يكون عنصراً قارئاً في التفكير الأسلوبي فلأنه يستمد دلالة - لا مع الخطاب الأصغر كالنص والرسالة - وإنما يستمد تصويره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي فيها يُسبك ولذلك تعدّر تصوّره في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المُقتضية لنقائضها بالضرورة فكما لا نتصور (الكبير) إلا في طباق مع (الصغير) فكذلك لا نتصور انزياحاً إلا عن شيء ما "<sup>3</sup>، وهذا المسبار الأصلي الذي يقع عنه الخروج، " وإليه يُنسب الانزياح هو في ذاته مُتصوّر نسبي تذبذب الفكر اللساني في تحديده وبلورة مصطلحه فكلّ يسمه من ركن منظور خاص وقد أُصطلح عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللسانية "<sup>4</sup>.

## 2- مفهوم الأسلوبية:

إنّ أول من استخدم هذا المصطلح هو نوفاليس الذي كانت تختلط الأسلوبية عنده بالبلاغة، ولقد توالى تحديدات الأسلوبية - فيما بعد - وخضعت إلى منظورات مختلفة فهي: " علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية "<sup>5</sup>، كما أنها حسب أريفاي M. Arrivé: " وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"، وهي حسب دولاس: " تعرّف بأنها منهج لساني "<sup>6</sup>.

---

\* الأسلوبية: تعني كلمة استيلوس في اللاتينية (الأزميل)، أو (المنقاش) للحفر، والكتابة، وقد كان اللاتين يستعملونها مجازاً للدلالة على شكلية الحفر، أو شكلية الكتابة، ثم مع الزمن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية، البلاغية، والأسلوبية، وصارت تدل على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير... (بن ذريل عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2000، ص: 43).

<sup>1</sup> - أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص: 15، 16.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 16.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 77، 78.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 78.

<sup>5</sup> - غيرو بيير، الأسلوبية، ص: 9.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص: 41.

وحدّد ريفاتير Riffaterre الأسلوبية بأنها: " علم يُعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية، وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية سنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا"<sup>1</sup>.

بمعنى أنها تقوم على دراسة النص في ذاته إذ تقوم بتفحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنية، وهي تتميز من بقية المناهج النصية بتناولها النص الأدبي بوصفه رسالة لغوية قبل كل شيء فتحاول تفحص نسيجه (اللغوي) وترمي بحسب رأيه إلى " تمكين القارئ من إدراك خصائص الأسلوب الفني إدراكا نقديا مع الوعي بما تحقّقه تلك الخصائص من غايات وظائفية "<sup>2</sup> ومادامت الأسلوبية، بحسب ما أشرنا تأخذ مفهومها من الجهة التي تبنتها، فإن مفهومها يتعدد بتعدد تلك الجهات ويكون محددًا بحسب هذه الجهة أو تلك.

---

<sup>1</sup> - بدري الحري فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2003، ص:15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص:15.

## المبحث الثانى:

### محددات الأسلوب:

#### 1- الاختيار:

أصبح تعريف الأسلوب على أنه اختيار من التعريفات الشائعة فى الدراسات الأسلوبية، وقد توسّع الباحثون فى مناقشة هذا التعريف الذى يبدو إشكالياً فى كثير من الأحيان كما هى تعريفات الأسلوب الأخرى من كونه انحرافاً، وانزياحاً... أو الأسلوب هو الرجل على حدّ بوفون Buffon، ويقول بالى Bally عن الأسلوب: "هو إضافة ملمح تأثيرى إلى التعبير، ولا شك أن هذا الملمح التأثيرى ذو محتوى عاطفى"<sup>1</sup>. إن تعريف الأسلوب على أنه اختيار يطرح فى المقام الأول السؤال الآتى: لماذا يختار المبدع هذه الكلمة، أو هذا التركيب، أو هذا العنوان، أو هذه التقنية دون غيرها من التقنيات؟ وهذا السؤال يقود إلى آخر، هل الاختيار عملية واعية، أم غير واعية، وكيف يمكن تحديد مثل هذا السؤال أو الإجابة عليه؛ لأنّ الاختيار أمر لا يتعلق بالقارئ، وإنما يتعلق بالمبدع.

وهناك نقطة أخرى يمكن أن تضاف إلى ما سبق متمثلة فى العلاقة بين موقف المبدع وبين ما يختاره، أى هل يتدخل الموقف الذى يعيشه المبدع فى توجيه اختياره توجيهها قسرياً، أم لا يمارس أى سلطة على عملية الاختيار للكلمة، أو عبارة، أو لأسلوب ما؟ كل هذه النقاط يجب أن تظل فى الذهن عند معالجة تعريف الأسلوب على أنه اختيار.

يكاد يكون تعريف الأسلوب بأنه اختيار من التعريفات الشائعة والمعروفة فى الدراسات النقدية الحديثة، إذ أنّ معالجة الأسلوب على أنه اختيار احتلت مساحات واسعة من مناقشات الدراسة الأسلوبية، "وقد شاع فى الدراسة الأسلوبية أن نظام اللغة يقدم للمبدع إمكانيات هائلة له أن يستخدمها للتعبير عن حالة واحدة أو موقف معين، وهذا يعنى أن للمبدع الحرية فى اختيار ما يريد ما دام ما يُختار يخدم رؤيته وتصوره وموقفه"<sup>2</sup>، ولكن هذا الأمر لم يبق مجرد عموميات، وإنما بدت هناك تحديدات لعملية الاختيار فى الدراسات الأسلوبية، وقد مُيّزت خمسة مستويات للاختيار هي:<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - فضل صلاح، علم الأسلوب، ص: 325.

<sup>2</sup> - أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، ص: 167.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص: 167، 168.

أ- اختيار الغرض من الحديث:

وفيه يريد المتكلم - بناء على أسس محددة- الوصول إلى الغرض من الكلام أو الحديث مثل: الإبلاغ، الدعوة، الإقناع، اكتساب معلومات معينة، ويمكن أن يكون الهدف من النصوص الأدبية أغراضا جمالية.

ب- اختيار موضوع الحديث:

وفيه يختار المتكلم الموضوعات غير اللغوية أو الأشياء التي يريد الحديث عنها، وبناء على ذلك تتحدد إمكانيات الاختيار التي لها قيمة معينة، فلو أراد مثلا الإخبار عن حصان فيمكنه أن يختار حصان، جواد، فرس... إلخ، ولكن لا يمكنه اختيار بقرة مثلا.

ت- اختيار الرمز اللغوي:

يختار المتكلم إذا كان يعرف عدة لغات - لغة معينة أو لهجة ما، وهذا الاختيار هام جدا في النصوص الأدبية، حيث تحدث إضافات بلغات أو لهجات أجنبية.

ث- الاختيار النحوي:

ويختار المتكلم التراكيب النحوية التي تكون قواعد صياغتها إجبارية مثلا: جملة استفهامية أو جملة خبرية.

ج- الاختيار الأسلوبي:

ويعثر المتكلم على الاختيار الأسلوبي من بين الإمكانيات الاختيارية المتساوية دلاليا. وعلى الرغم من هذه التحديدات التي تحاول أن تبرز مستويات الأسلوب إلا أن هناك إشكالية تظل تواجه تعريف الأسلوب من كونه اختيارا، فالمشكلة الأولى: هل المبدع يكون حرا فيما يختار غير مقيّد بضوابط، أو قواعد يحتكم إليها؟

أما المشكلة الثانية فهي: هل يكون كل اختيار يقوم به المبدع أسلوبا؟ وعلى هذا الأساس برزت ضرورة أساسية للتمييز بين نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بالموقف أو المقام، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة. "والنوع الأول اختيار نفعي، ربما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى، لأنها أكثر مطابقة - في رأيه - للحقيقة، أو لأنه - على عكس ذلك - يريد أن يضلل سامعه، أو يتفادى الاصطدام بحساسيته اتجاه عبارة أو كلمة معينة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 168.

أما النوع الثاني فاختيار نحوي يرتبط ارتباطا وثيقا بالإمكانات النحوية وقواعد اللغة بمفهومها الشامل: الصوتية، والصرفية، والدلالية، ونظم الجملة، "ويكون هذا الأمر حين يفصل المبدع أسلوبا على أسلوب، فتارة يستخدم التقديم والتأخير ويُؤخّر ما حقه التقديم ما دام يرى أن هذا الأسلوب أكثر تحقيقا للفائدة التي يتوخاها من عمله الأدبي، وهو عمل يريد منه المبدع أن يكون مؤثرا وفاعلا لينقل الشحن العاطفي للغة النص إلى المتلقي أيضا"<sup>1</sup>.

يبرز من خلال هذه المناقشات أنّ عملية الاختيار تصبح عملية أساسية مهما اختلفت تأويلات النقد ومواقفهم منها، لأنهم يُجمعون في النهاية على أهمية الاختيار في الدراسات الأسلوبية. وقد تجلّى هذا الأمر بصورة واضحة عند جاكبسون Jakobson عندما عرّف الوظيفة الشعرية بأنها: "إسقاط مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف، فالاختيار ناتج على أساس قاعدة التماثل والمشباهة والمغايرة والترادف والطباق، بينما يعتمد التأليف وبناء المتوالية على المجاورة"<sup>2</sup>. أو ما أصبح يُعرف بمحور الاستبدال ومحور التركيب.

ربط بعض الباحثين بين فكرة الاختيارات الأسلوبية والنحو التوليدي التحويلي الذي يقوم على بناء مجموعة من الجمل المختلفة اعتمادا على الجمل البسيطة، ومن هذه الجمل يختار المؤلف ما يوافقه، وبناءً على ذلك فقد تم تحديد الأسلوب عند بعض الدارسين بأنه: "نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة"<sup>3</sup>.

تولد كثير من التراكيب التي تعني الشيء نفسه نتيجة للنحو التوليدي، وهذا بدوره يمثل بدائل على مستوى الدراسة الأسلوبية، والأسلوب - طبقا لذلك - "يُولَد نتيجة لانتقاء المؤلف من بين إمكانات اللغة الاختيارية التي تقوم على بينها علاقة التبادل، مما يجعل من الميسور ملاحظة الفوارق الأسلوبية في نصوص تنتمي إلى اللغة نفسها عندما تؤدي جميعها المحتوى الإعلامي ذاته، وبأشكال مختلفة"<sup>4</sup>.

لقد وجد صلاح فضل مسوغا لربط مفهوم الأسلوب بالنحو التوليدي التحويلي لظاهرة الاختيار بنظرية التوصيل "على اعتبار أن النظام اللغوي يتيح للمتكلم فرصا عديدة، وإمكانات مختلفة للتعبير عن واقع محدد، مع ملاحظة مدى ما يتمتع به الكاتب من حرية حقيقية في اختياراته، إذ إن عمليات الاختيار محكومة بالظروف التي يمكن تفسيرها بدورها على أنها اختيار يتم على مستوى أعلى"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، ص: 168، 169.

<sup>2</sup> - جاكبسون رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: الولي محمد وحنون مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1988، ص: 33.

<sup>3</sup> - فضل صلاح، علم الأسلوب، ص: 93.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 179.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 89.



ومهما يكن، فإنّ تحديد الأسلوب على أنه اختيار محور أساسي من محاور الدراسات الأسلوبية التي قدمت الأسلوب على أنه متصل بوعي المبدع، وبذاتيته التي تميزه عن الذوات الأخرى، فتفاوت الأسلوب ربما يكون قائما على طبيعة الاختيار الذي يُعدّ عنصرا أساسيا من عناصر عملية الإبداع.

## 2- التركيب:

تقوم ظاهرة التركيب في المنظور الأسلوبي على ظاهرة إبداعية سابقة عليها وهي ظاهرة الاختيار التي لا تكون ذات جدوى إلا إذا أُحْكِمَ تركيب الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي. "تتركب الكلمات في الخطاب من مستويين؛ حضوري وغياي، فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاورها تأثير دلالي وصوتي وتركيب، وهو ما يدخلها في علاقات ركنية، وهي أيضا تتوزع غياييا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل إذن في علاقة جدلية أو استبدالية، فيصبح الأسلوب بذلك شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية ومجموع علائق بعضها ببعض"<sup>1</sup>.

فظاهرة التركيب هي تنضيد الكلام ونظمه لتشكيل سياق الخطاب الأدبي، والتركيب عنصر أساسي في الظاهرة اللغوية، وعليه يقوم الكلام الصحيح، وحسب الفارابي أنه يُدخَل (القرمطيقا) وهي تشمل "علم قوانين الألفاظ عندما تتركب، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة"<sup>2</sup>، ولعلم قوانين الألفاظ المركبة فرعان: "علم قوانين أحوال التركيب، وعلم قوانين أظراف الأسماء والكلم، وعلم قوانين الأظراف هو المخصوص بعلم النحو"<sup>3</sup>.

وحسب الاعتقاد أنّ التوليد اللغوي تقيّد بنظام اللغة لا يخرج عن إطار القياس الذي هو (حمل فرع على أصل لعلّة جامعة بينهما)، ومن شروطه أن يكون المقيس عليه (في اللغة) مَطْرَدًا، فإذا ورد نادرا عُدّ شاذًا، والشاذ كما هو شائع يُحْفَظ ولا يقاس عليه، يقول نوام تشومسكي Noem Chomsky: "من مهمات النحو العادية أن يقوم بتحديد فئات الجمل السليمة التكوين، وأن يسند لكل منها وصفا هيكليا أي وصفا للوحدات التي تتكوّن منها الجملة ولكيفية تشكلها، وكذلك للعلاقات البنوية بين الجملة وأختها..."<sup>4</sup>.

ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسيّه ولا عن تصوّره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يُفْضِي إلى إفراز الصورة المنشودة والانفعال المقصود، وهذا هو الذي يكسب تقيّد النظرية بحدود النص في ذاته ويُكسِبُها شريعتها المنهجية وحتى المبدئية من حيث احتكام

<sup>1</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص: 77.

<sup>2</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب - دراسة في النقد العربي "الأسلوبية والأسلوب - دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ج1، ص: 168.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج1، ص: 168.

<sup>4</sup> - نفسه، ج1، ص: 169.

نظري، وعلى هذا الصعيد بالذات تتكل الأسلوبية على المعطى الألسني المحض لأنّ اللسانيات قد حددت "اللغة بكونها ظاهرة اجتماعية، وكأنا حيا مع اعتبار أنها تركيبة قائمة في ذاتها أي أنها (كلّ) يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، وماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر بحيث لا يتحدد أحدها إلا بعلاقته بالأخرى، فتكون اللغة جهازا تنتظم في صلبه عناصر مترابطة عضويا لا يتغير عنصر إلا انجر عن تغييره وضع بقية العناصر، وبالتالي كلّ الجهاز، وما إنّ يستجيب الكلّ لتغيّر الجزء حتى يستعيد الجهاز انتظامه الداخلي"<sup>1</sup>.

ومن هذا المنطلق الذي يركز على الجانب التركيبي للظاهرة اللغوية في النص الأدبي تبني النقد الأدبي الحديث تعريفا للنص الأدبي فحواه أنّ "النص الأدبي هو في حد ذاته عالم لغوي متكامل فكأنما هو اللغة ذاتها وقد انحصرت في ذلك السياق المحدد بالنص"<sup>2</sup>.

إنّ اختيار الكلمات لا يكون مفيدا إلا إذا أُحكم توزيع هذه الكلمات وهي تتوزع على مستويين: حضوري وغيابي، فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاوزها تأثير دلالي وصوتي وتركيبى، وهو ما يُدخلها في علاقات ركنية وهي أيضا تتوزع غيابيا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل إذن في علاقات جدولية أو استبدالية فيصبح الأسلوب بذلك شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية ومجموع علائق بعضها ببعض"<sup>3</sup>.

فالمتمكّن ينشئ كلامه وفق قواعد النحو وقوانينه، لذلك كان التركيب الأسلوبي مشروطا يقول المسدي: "كل مقطع لساني هو حلقة وصل بين الأشياء والوقائع الرموز إليها، والمتقيل لذلك المقطع، وهذه العلاقة ليست عفوية ولا اعتباطية وإنما هي تفترض عقدا مزدوجا: أحد العقدين يستجيب لضغوط الدلالة وهو التواضع على رصيد معجمي معين، والآخر يستجيب لضغوط الإبلاغ وهو التسليم بمجموعة من القوانين الضابطة لتركيب مقاطع الكلام، وهذا العقد الثاني يشمل الأسس العامة تاركا بعض المجال لتصرّف كل فرد من أفراد المجموعة اللسانية الواحدة، وهذه الخصوصية هي التي تبرز لنا علاقة الجدولين: فالأول مجال القيود والأسلوبية مجال الحريات، وعلى هذا الاعتبار كان النحو سابقا في الزمن للأسلوبية إذ هو شرط واجب لها، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة، ولكنها مُراهنة

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج1، ص: 169.

<sup>2</sup> - نفسه، ج1، ص: 170.

<sup>3</sup> - نفسه، ج1، ص: 170.

ذات اتجاه واحد لأننا إذا سلّمنا بأن لا أسلوب بدون نحو فلا نستطيع إثبات العكس فنقول: لا نحو بلا أسلوب<sup>1</sup>.

إنّ هذه العلاقة الجدلية بين النحو والأسلوب يمكنها أن تساعد دارس الأسلوب في الاستعانة بالقواعد النحوية، وتحديد خصائص التركيب النحوي للأسلوب انطلاقاً من هذه القواعد، ولكن النحو لا يكفي وحده في تحديد خواص الأسلوب لذلك كان على دارس الأسلوب الإلمام بحقول معرفية عديدة ليتمكن من دراسة الظواهر اللغوية والأسلوبية للخطاب الأدبي، "فالنحو يحدد لنا ما لا نستطيع أن نقول فهو يضبط لنا قوانين الكلام، بينما تقفوا الأسلوبية ما بوسعنا أن نتصرّف فيه عند استعمال اللغة، فالنحو ينفي والأسلوبية تثبت، معنى ذلك أن الأسلوبية علم لساني يُعنى بدراسة مجال التصرّف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"<sup>2</sup>.

والملاحظ أنّ كل تركيب أسلوبي يتضمن أبعاداً دلالية تخصّه، وأنّ أي تغيير في بنية التركيب بتقديم أو تأخير في بعض وحداته اللغوية، أو تعريف أو تنكير أو إظهار أو إضمار، كل ذلك يكون بهدف ويتقصّده المنشئ عن وعي وإدراك ولا يمكن أن تظهر خاصية أسلوبية في التركيب دون قصد، فمهما كان التغيير طفيفاً في التركيب فإنه يأتي استجابة لنسق ويتطلبه السياق، فإحلال صيغة اسم الفاعل مثلاً محل الصفة المشبهة، أو إحلال المضارع محل الماضي أو الأمر، أو إحلال الاسم محل الفعل إنما هي ظواهر لغوية يتطلّبها الأسلوب ويستدعيها المقام والسياق، ومن المؤكّد أنّ ذلك يعطي صورة تركيبية مختلفة ويترتب عن ذلك معاني مختلفة لأن طريقة التركيب اللغوي للخطاب الأدبي هي التي تمنحه كيانه وتحدّد خصوصيته.

ولذلك كان ميشال ريفاتير M. Riffaterre يركّز على "الخطاب في ذاته ويعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس اجتماعية أو ذاتية، فالخطاب الأدبي هو تركيب جمالي للوحدات اللغوية تركيباً يتوحّى في سياقه الأسلوبي معاني النحو"<sup>3</sup>، ومن هنا يكسب وظيفة الأدبية التي هي سرّ من أسرار خصائصه التركيبية البنيوية والوظيفية.

إنّ خاصية التركيب باعتبارها ظاهرة أسلوبية استرعت اهتمام النقاد والباحثين الغربيين والعرب وتفاوتت فيها وجهات نظرهم؛ وإن كان جميع دارسي الأسلوب يجمعون على أهميتها لأن بها قوام الخطاب الأدبي، وبوساطتها تحقيق انسجامه وتكامله.

<sup>1</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص: 46.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 46.

<sup>3</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 172.

### 3- الانزياح:

يكاد الإجماع ينعقد على أنّ الانزياح: "خروج عن المؤلف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة"<sup>1</sup>.

فالانزياح يتخذ أنماطا مختلفة من ناحية تنوعاته أو تحققاته العينية في النصوص الأدبية، كما أنّ وجهة نظر الدراسة التي تطبّق مقولة الانزياح يمكن أن تتنوّع كذلك، ما دام جوهر عملية تطبيق مقولة الانزياح إنما هو إجراء مقارنة، "فالتطبيق تطبيق مقارنة يضع النص الأدبي ويتأمله لا كشيء في ذاته وإنما كشيء مرتبط بطريقة معينة بآخر حاضر في الذهن، سواء أكان هذا الآخر متجسّدا كنص آخر أم كنمط حقبة معينة سابقة على حقبة النص"<sup>2</sup>.

لقد ارتبط مفهوم الأسلوب بمفهوم الانزياح عن القاعدة العامة، وإنّ مثل هذا الربط يثير مشكلات تتعلق بكيفية تحديد الانزياحات التي يرتكبها النص الأدبي، وكيفية تحديد القاعدة العامة التي انحرف عنها ذلك النص، فتحديد الانحراف ربما يخضع لمحددات تاريخية وثقافية، وربما يخضع للخبرة والمعرفة اللتين تتعلقان بالقواعد. فالسياقات التاريخية والثقافية ربما تحدّد أنماطا من الانزياح في حقبة معينة وثقافة معينة فقط بحيث لا تمثّل تلك الأنماط انزياحا ما في حقبة أخرى وسياق ثقافي آخر.

ومن هنا، نستنتج أنّ القيم الأسلوبية هي "قيم متغيرة وغير ثابتة، وربما يعثر القارئ على بُنى أسلوبية في نص شعري عائد إلى العصر الجاهلي لم تكن تمثّل أي ملمح أسلوبي بالنسبة إلى قارئ عاصر ذلك النص والعكس بالعكس. ولكي تُحدّد الانزياحات في نص أدبي معين لا بد لنا أن نتوفر على معرفة دقيقة وحساسة بإزاء القواعد العامة التي يقاس الانزياح في ضوءها، ومن دون تلك المعرفة فإننا نُغفل كثيرا من الانزياحات التي يتوفّر عليها النص الأدبي"<sup>3</sup>.

وإذا ما افترضنا أننا نستطيع أن نُحدّد الانزياحات في نص أدبي ما، فكيف يمكن أن نحدد معيارا نسند - طبقا له - قيمة أسلوبية إلى الانزياح، فليس كل انزياح يتوفّر على قيمة أسلوبية، كما أنه ليس كل قيمة أسلوبية يتوقف وجودها على تحقيق الانزياح.

<sup>1</sup> - أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، ص: 180.

<sup>2</sup> - ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص: 43.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 45.

"لقد وُجد في مشروع جون كوهن J. Cohen أنّ الذي يُحدّد الانزياحات بمختلف أنواعها إنما هو عالم اللسانيات، في حين يحدّد الانزياحات في مشروع ميشال ريفاتير M. Riffaterre إنما هو القارئ أو مجموعة من القراء"<sup>1</sup>.

وقد صنّف الغربيون الانزياحات في خمسة نماذج استنادا إلى معايير تحدّد الانزياح نفسه:<sup>2</sup>

- أ- تصنيف الانزياحات استنادا إلى درجة انتشارها في النص بوصفها انزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة التي تُعد انزياحا موضعيا عن النظام اللساني، أو بوصفها انزياحات تشمل النص الأدبي في عمومته كالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقا لعمليات إحصائية.
- ب- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى نظام القواعد اللسانية، فتبرز لنا انزياحات سلبية كتخصيص القاعدة العامة، وانزياحات إيجابية كإضافة قيود معينة مثل القافية.
- ت- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المُحلّل، فتبرز لنا انزياحات داخلية تتمثل في انفصال وحدة لسانية عن القاعدة المهيمنة على النص، وانزياحات خارجية تتمثل في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة التي كُتب النص بلُغتها.
- ث- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى المستوى اللساني الذي تستند إليه تلك الانزياحات فتبرز لنا انزياحات خطية، وصوتية، وصرفية، ومعجمية، ونحوية، ودلالية.
- ج- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى مبدأي الاختيار والتأليف طبقا لفرضية جاكوبسون Jakobson في إسقاط مبدأ التماثل من محور الاختيار على محور التأليف. فتبرز لنا انزياحات استبدالية تُحطّم قواعد الاختيار كوضع المفرد مكان الجمع، والصفة مكان الموصوف، واللفظ الغريب بدلا من المؤلف. وبالنتيجة، فإنه يمكن إجمال المشاكل التي يثيرها النظر إلى الأسلوب بوصفه انزياحا كما يأتي:<sup>3</sup>

- ❖ كيفية النظر إلى نصوص ليس فيها انزياح عن قاعدة معينة.
- ❖ كيفية تحديد القاعدة والانزياح عنها بدقة علمية.
- ❖ كيفية تتبّع الخواص النوعية للانزياح بتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما هو تحديد سالب.
- ❖ كيفية النظر إلى انزياحات لا يترتب عليها تأثير أسلوبي.

<sup>1</sup> - ناظم حسن، مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1994، ص: 118.

<sup>2</sup> - فضل صلاح، علم الأسلوب، ص: 210، 211.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 215، 216.

- ❖ كيفية تجاوز المؤلف والقارئ، فتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما ينظر إلى الظاهرة اللسانية فحسب في النص الأدبي
- ❖ كيفية تطبيق نظرية الانزياح على مؤلفين يكتبون بأسلوب اعتيادي.
- ❖ كيفية تسويغ إهمال ملامح النص الأخرى وبناء الأساسية التي لا تستند إلى فكرة الانزياح.

### المبحث الثالث:

#### اتجاهات الأسلوبية:

##### أ- الأسلوبية التعبيرية:

يُعَدُّ شارل بالي Ch. Bally من الرواد المؤسسين للأسلوبية، وهي تعني عنده " البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة، وتدرس الأسلوبية عند بالي Bally هذه العناصر من خلال محتواها التعبيري والتأثيري"<sup>1</sup>. لقد نظر بالي Bally إلى النظام اللساني مؤدياً أغراضاً منطقية حسب، بل إنّ من غاياته التعبير عن الوجدان، الأمر الذي يربط النظام اللساني بالذات المنشئة وبالفعل اللساني الذي تمارسه، وكذلك بالأثر الذي يتركه هذا الفعل اللساني على القارئ، إذن، " فالأسلوبية - على حد رأيه - هي جملة الصيغ اللسانية التي تثير النص وتكثفه، وتكشف عن طبيعة المنشئ وطبيعة تأثيره على المتلقي"<sup>2</sup>. إن مجال علم الأسلوب يتحدد بدراسة الظواهر اللغوية في مستوياتها اللغوية المتعددة، وبذا نرى أن مجال علم الأسلوب يتقاطع مع مجال علم اللغة، فكلاهما معني بدراسة الظواهر بدءاً من الأصوات وانتهاء بالتراكيب، " فعلم الأسلوب بذلك علم لغوي مجالُه الصوت والدلالة والتركيب، وبهذا التحديد فهو يدور في فلك اللغويات منهجاً وموضوعاً"<sup>3</sup>. إلا أنّ الذي يُميّز علم الأسلوب ويعطيه الاستقلال في المنهج دراسته للظواهر اللغوية منظوراً إليها من زاوية خاصة كما يرى بالي Bally، " وتتعلق الزاوية الخاصة التي يشير إليها بالي Bally بالجانب الوجداني الذي ركّز عليه عند دراسته لظواهر الكلام"<sup>4</sup>. لقد كان في إقرار الأسلوبية التعبيرية للترانيمية منهجاً لها أثر واضح في قيام البحث الأسلوبي على الوصف لا غير، " فقد أضحى البحث الأسلوبي بحثاً وصفياً همه كيفية ما يقال، وبهذا نأى بنفسه عن إطلاق الأحكام بالمدح أو غيره"<sup>5</sup>. ولا يخفى أثر الأسلوبية التعبيرية في إقرار مبدأ الاختيار بوصفه مبدءاً أساسياً قامت عليه أغلب الاتجاهات الأسلوبية عند تحديدها لمفهوم الأسلوب، فقد كانت فكرتها عن الوسائل التعبيرية مجسّدة لهذا المبدأ، حيث ربطت تعدد القيم التعبيرية بتعدد المتغيرات الأسلوبية. " والمتغيرات الأسلوبية في جوهرها تمثل

<sup>1</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، ص: 60.

<sup>2</sup> - عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، ص: 104.

<sup>3</sup> - أبو العدوس يوسف، الأسلوبية - الرؤية والتطبيق - دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 2007، ص: 97.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 98.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 98.

الطرائق المتعددة التي يمكن استخدامها للتعبير عن فكرة بعينها، وفي هذا تجسيد لمبدأ الاختيار، ويجدر الذكر أن هذا المبدأ لم يبرز واضحا لارتباطه الوثيق بالفرد الذي يسعى لتحقيق أغراضه الذاتية<sup>1</sup>.

كما نظرت الأسلوبية التعبيرية إلى النص الأدبي بوصفه خارجا عن مجال بحثها نظرا لانشغالها بوصف الوقائع اللغوية المعاشة، ولم تُخرج النص الأدبي من دائرة الاهتمام تقليلا من شأنه أو الاستهانة به، بل لأنه يمثل اللغة التلقائية الطبيعية.

بيد أن بالي Bally سرعان ما أعاد النص الأدبي إلى دائرة العمل الأسلوبي، "وبذلك تكون الأسلوبية التعبيرية قد قدمت لعلم الأسلوب الميدان الذي يعمل فيه بعد أن كان ميدانا عاما لا حد له. فاعتمدت جل الاتجاهات الأسلوبية بعد الاتجاه التعبيري على النص الأدبي بوصفه الميدان المحدد لدراساتها"<sup>2</sup>.

#### ب - الأسلوبية النفسية:

يعدّ ليو سبيتزر L. Spitzer أهم مؤسس للأسلوبية النفسية وإليه تشير أغلب الدراسات الغربية والعربية التي حاولت رصد تاريخ الأسلوبية واتجاهاتها، وقد وصل ليو سبيتزر L. Spitzer إلى نتائج باهرة في هذا المجال، ووقع تحت تأثير تعاليم "فرويد Freud" في سن مبكرة، ثم تأثر بنظرة بندتو كروتشه B.Croce إلى اللغة على أنها تعبير في خلاق عن الذات، وتأثر بنظريات اللساني الإيطالي "همبولت" اللسانية، و"بكارل فوسلار"<sup>3</sup>.

يستند منهج سبيتزر Spitzer في التحليل الأسلوبي إلى التذوق الشخصي، فهو يحدّد نظام التحليل بما يسميه (منهج الدائرة الفيلولوجية)، إذ تبتدئ هذه الدائرة بالقارئ الذي يتأمل النص كي ما يصل إلى شيء في لغته يلفت نظره. "إن إدراك ما يلفت النظر في لغة النص إنما ينبع من الحدس، ثم يتم تأمل هذا اللاف لل نظر عبر قراءة جديدة مدعمة بشواهد أسلوبية أخرى، تكون بمثابة الجزئيات التي تدعم الكل، أي تدعم ما يتوصل إليه عبر الحدس"<sup>4</sup>.

لا شك في أن الخطوة الأولى لا تستند إلى منهج معين بل تعتمد على الموهبة والخبرة والإيمان، فهي تُمثّل دراسة للمثيرات في النص، بيد أن الخطوة الثانية وهي خطوة تفسيرية تستند إلى اختبار الغرض على وفق طرائق تبتعد عن التذوق الشخصي، "ويبدو أنه من الأفضل لدى سبيتزر Spitzer الانطلاق من سطح النص الخارجي ومن ثم الوصول إلى مركزه، أي بتحليل تركيبي ننفذ من خلاله إلى الأفكار"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 98، 99.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 99.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 111.

<sup>4</sup> - ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص: 36.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص: 36.



لقد أثر سبيتزر Spitzer هذا الاتجاه الأسلوبي أن يكون جسرا بين اللسانيات وتاريخ الأدب، وقد بلور بيير غيرو P. Guiraud منهج (الدائرة الفيلولوجية) كما رسمه سبيتزر Spitzer عام 1948 في كتابه (اللسانيات وتاريخ الأدب)، من خلال العناصر الآتية:<sup>1</sup>

- النقد محايت للأثر الأدبي.
  - كل أثر أدبي هو وحدة كلية.
  - ينبغي لكل جزئية أن تتيح لنا الولوج إلى مركز الأثر.
  - نتوغل في الأثر الأدبي بفعل الحدس.
  - يدمج الأثر في المجموع، ما إن يعاد بناؤه، فكل (نظام شمسي) مبني على أعمال مختلفة إنما ينتمي إلى نظام آخر أكثر اتساعا، وثمة مخرج مشترك لجميع الآثار في عصر واحد أو بلد معين، وإنّ روح الكاتب تعكس روح أمته.
  - هذه الدراسة أسلوبية، لأنها تتخذ إحدى سمات اللغة منطلقا لها.
  - السمة المميزة هي انحراف أسلوبي فردي.
  - ينبغي للأسلوبية أن تكون نقدا متعاطفا.
- هي ذي أهم الدعائم المجملة التي تستند إليها أسلوبية سبيتزر Spitzer التي وصفها ج.م. سشايفر بأنها "أسلوبية أدبية تعبيرية نفسانية"، وعاب عليها آخرون روحها الذوقية الانطباعية الذاتية، حتى وُصفت بأنها مجرد (حلقة فارغة)<sup>2</sup>، وإن أجمعوا على نتائجها الطيبة.
- ج- الأسلوبية البنيوية:

تُعنى الأسلوبية البنيوية في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكوّنة للنص وبالدلالات والإيحاءات التي تنمو بشكل متناغم، أو كما يقول (مرسيل كروزو) "تنعيم أوركسترا لي"<sup>3</sup> في كتابه (الأسلوب وتقنياته).

والأسلوبية البنيوية تتضمن بعدا لسانيا قائما على علمي المعاني والصرف، وعلم التراكيب، ولكن دون الالتزام الصارم بالقواعد، "ولذلك تراها تدرس ابتكار المعاني النابع من مناخ العبارات المتضمنة

<sup>1</sup> - وغلبيسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 192، 193.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 193.

<sup>3</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، ص: 82.

للمفردات، أما توظيف التحليل الأسلوبي لعلم التراكيب فيبدو من خلال ما يتفاعل بين اللغة المدروسة وعلم التراكيب".<sup>1</sup>

ساهم ميشال ريفاتير M. Riffaterre في تأصيل ما يسمى الأسلوبية البنيوية في النصف الثاني من القرن العشرين، فموضوع الدراسة الأسلوبية عند ريفاتير Riffaterre هو النص، وهذا النص ضرب من التواصل يقوم مخططة على ثلاثة عناصر هي: "الكاتب والقارئ والنص".<sup>2</sup>

يرى ريفاتير Riffaterre أنّ إنكار القيمة الأسلوبية لبنية من بُنى النص أو ظاهرة من ظواهره قد يدل على وجود تلك القيمة، لذلك يُخطئ من يتصور أنّ المحلل الأسلوبي مطالب بإقصاء كلمات من نوع القيمة والقصد والجمالية من مجال دراسته فهو يستعملها ويوظفها لكن بوصفها دلالات وإشارات، "فقد تكون مظاهر الخروج في النص المتسببة في انفعال القارئ وجزءا من بنيته الأسلوبية".<sup>3</sup>

الأسلوبية هي العلم الذي يتخذ من الأسلوب موضوعا له ولتحديد هذه الخاصية في الدراسة الأسلوبية لا بد من الإشارة إلى مراحل القراءة الأسلوبية:<sup>4</sup>

#### 1- مرحلة الوصف:

ويسمى ريفاتير Riffaterre مرحلة اكتشاف الظواهر وتعيينها وتسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج القائمة في حسه "اللغوي مقام المرجع، فيدرك التجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة التي تؤثر اطمئنانية اللغوي فيقضيها. وتلفظ فرضياته وهي في (نظرية النص) مرحلة تكشف معناه من حيث أنه جملة مكونات، وليس في طاقتها أن تكشف مدلوله من حيث اعتباره وحدة الدلالة ومنطلقها.

#### 1- مرحلة التأويل والتعبير:

وتأتي تابعة للمرحلة الأولى ضرورة وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص والانسياق في أعطافه وفكّه على نحو تتربط فيه الأمور وتتداعى، ويفعل بعضها في بعض. وليست هناك أية علاقة للتحليل الأسلوبي بالمرحلة الثانية، لأنه لا يهتم بالمعايير والسياق المعرفي والإيديولوجي، والأحكام التي تحيط بعملية التأويل، بل إنه يسعى إلى العناصر الثابتة في النص التي لا تطمسها تلك الأحكام".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 82.

<sup>2</sup> - أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، ص: 140.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 83.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 83، 84.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 142.

إنّ الأسلوبية البنيوية كما جاء بها ريفاتير Riffaterre تحاول أن لا تغفل دور القارئ باعتباره جزءاً من عملية التوصيل ويعوّل عليه في تمييز بعض الوقائع الأسلوبية داخل النص، ولذلك يقترح ما يسميه: (القارئ العمدة Archilecteur) وهو ليس قارئاً معيناً بل مجموع الاستجابات للنص التي يحصل عليها المُحلّل من عدد من القراء، ويقرر ريفاتير Riffaterre "أنّ استجابة القارئ العمدة لا تعني الباحث الأسلوبي كاستجابات قيمية، بل إنّ أحكامه بالاستحسان أو عدمها يجب إسقاطها من الحساب، وإنما تنحصر فائدته في تعيين الوقائع الأسلوبية لا تفسيرها، ويبقى التفسير مهمة الباحث الأسلوبي نفسه ونجاحه في هذا التفسير موقوف على إدراكه للبنية الأساسية للنص"<sup>1</sup>.

#### د- الأسلوبية الإحصائية:

"وتنطلق من فرضية إمكان الوصول إلى الملامح الأسلوبية للنص عن طريق الكم، تقترح إبعاد الحدس لصالح القيم العددية، وتجتهد لتحقيق هذا الهدف بتعداد العناصر المعجمية في النص (بيير غيرو P. Guiraud)، أو بالنظر إلى متوسط طول الكلمات والجمل، أو العلاقات بينها (فوكس W. Fucks)، ثم مقارنة هذه العلاقات الكمية مع مثيلاتها في نصوص أخرى"<sup>2</sup>.

وكما كانت المقاييس المعتمدة متنوعة كلما كانت الإجراءات الإحصائية دقيقة، وكما كان المتن المُحلّل واسعاً كلما كانت نتائج الإحصاء أكيدة. "وكان من الآثار الملموسة حالياً لهذين الإجراءين تحسين اللامحة اللسانية المستعملة من جهة، والاستعانة بالحاسوب للتحكم في متون نصية ما تزال أكثر إثارة من جهة أخرى"<sup>3</sup>.

مع كل ذلك لا يمكن لهذه الجهود أن تنسينا أنّ الموضوعية العددية المبحوث عنها محدودة لأنها تابعة للقرار الذي ينبغي اتخاذه قبل التصدي لمسطرة التحليل، وهو تحديد ما نعينه (بالأسلوب). "وهذا القرار متروك لممارس التحليل، وبمجرد تحديد المعيار الأسلوبي تجري العملية بطريقة آلية تقريباً، وقد أبعدت العوامل التي يُحتمل أن تعقد العمل، مثل التطور التاريخي وعلاقة النص بالواقع. كما اختزل التواصل النصي بصفة عامة في السنن اللساني ومكوناته وتأليفاته المتنوعة"<sup>4</sup>.

لذلك أخذ على المفهوم الرياضي للأسلوب ضيقه الناتج عن اتجاهه الوضعي. كما أخذ على مثل هذه المناهج عجزها عن وصف الطابع المنفرد والخاص للأعمال الأدبية بشكل دقيق (لا يمكن قياس العبقرية).

<sup>1</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 87.

<sup>2</sup> - بليث هنريش، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص، ترجمة وتعليق: العمري محمد، إفريقيا الشرق، ط2، 1999، ص: 58، 59.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 59.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 59.

ومع ذلك فللأسلوبية الإحصائية مزاياها؛ فهي لا تساهم في تحديد القرابة الأدبية وحسب، "بل تعملُ على تخليص ظاهرة (الأسلوب) من الحدس الخالص لتوكل أمرها إلى حدس منهجيٍّ موجه"<sup>1</sup>، ومن هذه الزاوية يمكن للإحصاء أحياناً أن يُكمل مناهج أسلوبية أخرى بشكل فعال.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 60.

## المبحث الرابع:

علاقة الأسلوبية بالنقد، والبلاغة، والشعرية، واللسانيات:

### 1- الأسلوبية والنقد الأدبي:

النظام اللغوي - كما حدده سوسير Saussure - ذو مستويين: مستوى اللغة، ومستوى الخطاب، ويتفرع عن المستوى الثاني مستويان: أولهما الخطاب العادي، وثانيهما الخطاب الأدبي.

وهدف كل خطاب عادي إيصال المعاني ونقل الأفكار النفعية بين الناس، أما الخطاب الأدبي فيتجاوز تلك الدائرة الإيصالية بهدف إقناع المتلقي وإمتاعه.

والأسلوبية- بهذا - علم وصفي يُعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميّز النص الأدبي بطريقة التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية، ومن هذه النقطة تتحدد علاقة الأسلوبية والنقد الأدبي بزوايا التقارب والتباعد ونقاط الاتفاق والاختلاف. ويُعرّف النقد بأنه: "نَظَرٌ وتقليب في الأدب، وتذوق وتمييز له وحكم عليه، أي أنّ حقله ومجاله الأدب، ومهمة الارتقاء به في سُلّم الفن وغايته السموُّ به إلى أعلى مراتب الجمال والإحسان"<sup>1</sup>.

وللنقد اتجاهات شتى، منها ما يُعنى ببحث النص في إطار الظروف التاريخية والعوامل السياسية والفكرية والاجتماعية السائدة، باعتبار أنها تنعكس - أراد الكاتب أم لم يُرد - على إنتاجه الأدبي، يضاف إلى ذلك أن الكاتب الفذ لا ينسلخ عن قضايا مجتمعه ومؤرقاته وإنما يعيش فيها من خلال ما يكتب، ومنها ما يهتم بالنواحي النفسية للكاتب وأطوار حياته الأولى، وما قد يعانيه من مشكلات أو عُقد تكون قد ترسبت في أعماقه فتؤثّر فيما ينشئه، فلا مجال لدراسة النص - حسب هذا الاتجاه - بمعزل عن تلك الظروف النفسية.

ومن الاتجاهات النقدية ما ينظر إلى الأثر الأدبي على أنه يعكس المذهب العقائدي والرؤية الفكرية لدى الكاتب، وجليّ أن النقد - بهذه الصورة - قد "اتجه اتجاهات جديدة، إذ دُعمت الصلة بينه وبين العلوم الإنسانية وخاصة علوم الاجتماع والنفس، وظهرت فيه دراسات كثيرة تتجه إلى ما وصل إليه الدارسون في هذه العلوم من نظريات وقواعد وقوانين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - غيرو بيير، الأسلوبية، ص: 35.

<sup>2</sup> - ضيف شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط6، 1981، ص: 41.

والأسلوبية والنقد يلتقيان من حيث أنّ مجال دراستهما هو الأدب، وبتحديد أدق النص الأدبي، لكن الأسلوبية تدرس الأثر الأدبي بمعزل عما يحيط به من ظروف سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، فمجال عملها النص فحسب. أما النقد فلا يغفل - في أثناء دراسته للنص - تلك الأوضاع المحيطة به.

هذا بالإضافة إلى أن الأسلوبية تُعنى أساساً بالكيان اللغوي للأثر الأدبي، فعملها يبدأ من لغة النص وينتهي إليها، بينما يرى النقد أن العمل الأدبي وحدة متكاملة وأنه ينبغي أن يُدرس بكل عناصره الفنية، وما للغة - حينئذ - إلا أحد تلك العناصر. "ومما يشوّه العملية النقدية شيوع الذاتية والانطباعية، لذا يجب على الناقد أن يتجرد من ذاتيته حتى يصبح النقد موضوعياً لا أثر فيه لشخصية الناقد، ولا لأي إحساس له آخر أو معرفة أخرى، فيرضى عن أثر ويسخط على أثر"<sup>1</sup>.

أما الأسلوبية - ومحور دراستها اللغة فحسب - فالذاتية والانطباعية تكاد تكونان منعدمتين فيها، فاللغة في يد الناقد الأسلوبي أشبه بمركّب كيميائي في تجربة معملية، فهو يؤدي ذات النتيجة - إذا خضع لنفس الظروف - مهما تعددت التجارب.

ولا يعني ذلك أن شخصية الباحث الأسلوبي محوّة محو بحيث لا إحساس بها مطلقاً، فهي موجودة بصورة ما، وهذا الوجود منشؤه أن ثمة علاقة قائمة على التحيز الموضوعي تقوم بين الناقد الأسلوبي والعمل الأدبي الذي يدرسه، وعليه "ينبغي أن تكون الأسلوبية نقداً يحذره تطف وإعجاب، إذ لا سبيل إلى استيعاب الأثر الأدبي إلا من داخله ومن حيث هو كل، وذلك ما يستوجب التعاطف مع الأثر وصاحبه"<sup>2</sup>.

والتعاطف مع النص يسبق عملية النقد الأسلوبي، فهو لازم لاختيار العمل الأدبي موضوع الدراسة الأسلوبية، ولا تأثير له على العملية التحليلية، "لهذا يصرّح بعض علماء الأسلوب أنّ الناقد الأسلوبي لا يمكن أن يدرس عملاً لا يتذوقه، وإذا بدا أن هذه الخاصية للنقد الأسلوبي تضيق عمل الناقد فلا شك أنها تزيد عمقا وصدقا"<sup>3</sup>.

وثمة علاقة بين الأسلوبية النفسية والاتجاه النفسي في النقد، فكلاهما يُخضع النص لمعايير علم النفس ومقاييسه، وكلاهما يحاول الوقوف على الظروف النفسية والمراحل المبكرة لطفولة الكاتب ومدى

<sup>1</sup> - أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص: 36.

<sup>2</sup> - عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستيقاظ، مكتبة لبنان، ناشرون، ط 1، 1997، ص: 107.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص: 36، 37.

تأثيرها في كتاباته، وقصور المنهجين يتمثل في أنهما قد يعتمدان على النص لتأكيد ما سبق استخلاصه من نتائج، فالنص - عند أصحاب الاتجاهين النفسيين - يقع في هامش اهتماماتهم وليس في بؤرتها. والأسلوبية وإن كانت قد تفرعت من النقد الأدبي الذي هو أقدم منها في مجال دراسة الأدب، إلا أنها انسلخت عنه في النهاية واستقلت بذاتها.

ويرجع ظهور الأسلوبية - في رأي البعض - إلى "عدم وجود مدرسة نقدية عربية حديثة ترود القمم الباهرة التي لاحت آفاقها بفضل التطور الكبير الذي حدث في النظرية اللغوية المعاصرة، والذي فتح المجال أمام (الأسلوبية المعاصرة) وكثير من مدارس النقد الحديث التي أخذت في الظهور إتبعا<sup>1</sup>، كما يرجع إلى ما تتسم به الأسلوبية من موضوعية في البحث، وعقلانية في المنهج تجنبان الناقد الأسلوبي مزالق كثيرة قد لا يستطيع أصحاب المذاهب النقدية المختلفة الانفلات منها.

وعلى الرغم من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية والنقد الأدبي إلا أن التكامل بينهما "قد أعاقه تنافرٌ سببته الصورة البغيضة التي قدّم بها عالم اللسانيات نفسه: ادعاء الدقة العلمية، هوسٌ باستعمال الكثير من المصطلحات المركبة العويصة، تباؤ بالتقنيات التحليلية، احتقار لكل ما هو ذاتي أو انطباعي أو ذهني، وباختصار لكل ما هو خارج اللغة"<sup>2</sup>.

يرى فريق من النقّاد أن الأسلوبية أضحت مغايرة للنقد الأدبي، ولكنها ليست هادمة له أو وريثة، وعلة ذلك أن اهتمامها لا يتجاوز لغة النص، فوجهتها في - المقام الأول - وجهة لغوية، أما النقد، فاللغة - عنده - هي أحد العناصر المكونة للأثر الأدبي. معنى هذا أن "الأسلوبية قاصرة عن تخطي حواجز التحليل إلى تقييم الأثر الأدبي بالاحتكام إلى التاريخ، بينما رسالة النقد كامنة في إمطة اللثام عن رسالة الأدب، ففي النقد إذن بعض ما في الأسلوبية وزيادة، وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه"<sup>3</sup>.

أما الفريق الثاني وهو مخالف لسابقه فيذهب إلى أن النقد "قد استحال إلى نقد للأسلوب وصار فرعا من فروع علم الأسلوب، ومهمته أن يمد هذا العلم بتعريفات جديدة ومعايير جديدة"<sup>4</sup>.

ويعني هذا الرأي أن النقد سيقصر بحثه على الجانب اللغوي للنص الأدبي، وسينصرف عما عداه من عوامل وظروف مختلفة تشكل جانبا مهما في العملية النقدية، مما يؤدي إلى محو النقد الأدبي وقيام الأسلوبية وحدها التي لا تستطيع أن تكون عوضا عن النقد الأدبي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 37.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 37.

<sup>3</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص: 115.

<sup>4</sup> - عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، ص: 93.

فالأُسلوبية والنقد موجودان في خطين متوازيين لا يندمجان وإن كانا يتقاطعان في بعض النقاط، ووجود عناصر مشتركة بينهما واتفاقهما في سمات بعينها لا يعنيان نشوء التمازج الكامل، كما أنه ليس حتمياً أن يكون بقاء أحدهما مرتبطاً بزوال الآخر.

### 1-1- أهمية التحليل الأسلوبي في النقد الأدبي:

❖ تمدنا الأسلوبية بوسائل نقدية تُسهم في إبراز أفكار الكاتب ورؤاه، وذلك من خلال دراستها لسياقات الألفاظ وما تنطوي عليه هذه السياقات من دلالات مختلفة، وكذلك من خلال دراسة جرس الألفاظ في النص الأبي.

❖ تُظهر الأسلوبية المدلولات الجمالية في النص الأدبي من خلال الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الصيغ التعبيرية، وعلاقة هذه الصيغ بالمرسل والمتلقي، وهذا يكون بالاعتماد على إحصاء الصيغ ومعانيها وألفاظها، وطريقة تركيبها، والوظيفة التي يؤديها كل تركيب.

❖ تعتمد الأسلوبية على بنية النص، ومكوناته، وتحليل تلك المكونات بطريقة دقيقة، ومن هنا فهي تزوّد الناقد بمعايير موضوعية لا تعتمد على الذوق الذي يختلف من شخص إلى آخر.

ويتفق معظم النقاد على أن ثمة علاقة بين لغة الكاتب وشخصيته، وقد استنبطت الأسلوبية الحديثة عدداً من المناهج الحديثة لفحص هذه العلاقة منها:<sup>1</sup>

- منهج الدائرة الفيلولوجية.

- المنهج الوصفي.

- الأسلوبية الوظيفية.

- المنهج الإحصائي.

ولكل منهج من هذه المناهج أسسه، وحسناته، وسيئاته، وأعلامه ...

ويمكن القول إنّ أي منهج من مناهج الدراسات الأسلوبية لا يكفي وحده لدراسة الأسلوب الدراسة النقدية الكاملة، وإنما يمتلك كل منها جزءاً من الحقيقة، ويمكن الاستفادة منها أو من بعضها في دراسة النص الأدبي، فمثلاً يمكن استخدام هذه المناهج في تحليل:<sup>2</sup>

الأصوات (الوقف، والوزن، والنبر والمقطع، والتنغيم والقافية...).

الألفاظ (الكلمة وتركيبها، والصيغ الاشتقاقية، والمصاحبات اللغوية، والمجاز...).

التركيب (المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والصفة والموصوف، والإضافة والروابط، والتقديم والتأخير، والعدد، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والمبني للمعلوم، والمبني للمجهول...).

<sup>1</sup> - أبو العدوس يوسف، البلاغة والأسلوبية - مقدمات عامة - الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص: 186.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 186.



## 2- الأسلوبية والبلاغة:

بين البلاغة والأسلوبية علاقة وثيقة تتمثل أساسا في أن محور البحث في كليهما هو الأدب، إلا أن النظرة إلى هذا الأدب تختلف في المنظور الأسلوبي عنها في المنظور البلاغي، وقد أورد شكري عياد الفروق بين الأسلوبية والبلاغة والمتمثلة في ما يلي:<sup>1</sup>

❖ إن البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، ومن هنا يصبح الاختلاف اختلافا منهجيا، فالعلوم اللسانية القديمة التي سارت البلاغة في هديها كانت تنظر إلى اللغة بوصفها منظوية على ثبات حقيقي. بينما تنظر العلوم اللسانية الحديثة إلى اللغة بوصفها متغيرة ومتطورة، وإذا كان ثمة ثبات معين تنطوي عليه اللغة فإن هذا الثبات يُنظر إليه لا بوصفه حقيقة بل بوصفه ضرورة منهجية تلجأ إليها اللسانيات خاصة.

❖ إن علم البلاغة علم معياري، بينما تعد الأسلوبية علما وصفيا، فالبلاغة تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختيار بين إمكانيات عدة، وهذه الإمكانيات إنما هي تراكيب نحوية خاضعة لقوانين معينة، فالاختيار - إذن - خاضع للقوانين كذلك، ولهذا تنصب معيارية البلاغة على العدول عن التراكيب النحوية المناسبة مما يسبب هذا العدول خطأ بلاغيا.

❖ يقرر علم البلاغة أن الكلام ينبغي أن يطابق (مقتضى الحال)، في حين تقرّر الأسلوبية أن نمط الكلام يتأثر (بالموقف)، وهذان الاصطلاحان يشيران - على الرغم من اختلافات معينة - إلى الظروف العامة التي تحيط بالكلام.

إن الظروف العامة التي تكتنف الكلام هي التي تختلف في البلاغة عنها في الأسلوبية، "فالبلاغة- بفعل إنشائها تحت هيمنة المنطق على التفكير- كانت تنصب على الخطابة أكثر من انصبابها على الشعر، ولهذا فإن الظروف المحيطة بالكلام إنما تعني الحالة العقلية، وإن كان الاهتمام بالحالة الوجدانية أمرا مفروضا من معالجة المادة الأدبية".<sup>2</sup>

أما الأسلوبية التي أنشئت في الوقت الذي انتعش فيه علم النفس فقد عيّنت بالجانب الوجداني أكثر من عنايتها بالجانب العقلي، ولهذا أصبح (الموقف) أشد تعقيدا من مقولة (مقتضى الحال)، فمقولة (الموقف) في الأسلوبية تنطوي على عوامل خارجية تعود إلى المنشئ والمتلقي ويكون بعضها مشتركا: كالجنس والبيئة والمركز الاجتماعي والمنشأ، وتنطوي- كذلك- على عوامل فردية تعود إلى المنشئ كالمزاج والحدة والهدوء والدعابة والرزانة...

<sup>1</sup> - ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص: 18.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 18.

❖ إن أفق الدراسة الأسلوبية أوسع من أفق الدراسة البلاغية، "فالأسلوبية تدرس الظواهر اللغوية جميعها بدءاً من الصوت وحتى المعنى ومروراً بالتراكيب".<sup>1</sup>

### 3- الأسلوبية والشعرية:

بعد إعادة توزيع موضوعات البحث الأسلوبي على الفروع العلمية المجاورة كاللسانيات والشعرية والنقد في مجالاته المعروفة، الانطباعي، والنفسي وغيرها يكون الإيذان بمعرفة نهاية الأسلوبية، إذ أنّ حدودها الخاصة ووجودها أساساً كان نقطة نزاع بين مؤيديها ومن خالفهم في إثبات هويتها وقد ساعد ظهور الشعرية أخيراً وتخلقها بخطابها النظري ومقتضياتها المنهجية أيضاً في إنهاء المد النظري والتطبيقي للأسلوبية.

والشعرية هي "ذلك العلم الذي أخذ على عاتقه صراحة دراسة ما يبني الأدب في خصوصيته"<sup>2</sup>، ولا تنفصل عن الأسلوبية في مشاركتها التقدير نفسه وهو أنّ الأدب موضوع لغوي بالأساس لذا تتعين دراسته انطلاقاً من هذا المفهوم. لكن الأسلوبية تكون أوثق صلة بالنقد في معناه المتداول من الشعرية، ويتمثل كل منهما خطاباً منتجا على الخطاب الأدبي.

بيد أن التحول الذي تمثله الشعرية في حقل الدراسات الأدبية هو أنها اتخذت موضوعها من داخل بنية الأدب نفسه، فليس موضوعها العمل الأدبي ولا الأدب بصفته مجموعة أعمال، وإنما هو (أدبية) الأدب أي الخاصية المجردة التي تجعل من عمل ما عملاً أدبياً.

وهكذا تأخذ على عاتقها تحقيق الهدف الذي أخطأته الأسلوبية بمناسبة تحوّلها من دراسة اللغة إلى دراسة الأدب، "إذ أصبح العمل الأدبي موضوعاً خاصاً بها، فعملها يقوم على الإجابة عن السؤال: ما الذي يجعل من الاتصال اللغوي الذي يحتويه النص عملاً فنياً؟"<sup>3</sup>.

وهذا يشمل الأسلوبية بوجه من الوجوه، وهو العنصر النوعي نفسه في البلاغة.

### 4- الأسلوبية واللسانيات:

كان من بين أهم الثنائيات التي فتح بها سوسير Saussure عهداً جديداً في اللسانيات هي ثنائية اللغة Langue والكلام Parole، فاللغة تعني - حسب سوسير Saussure - "الذخيرة الذهنية المعطّلة في الجزء الأسفل من النصف الأيسر من الدماغ، أو أنها النظام النحوي أو مجموعة من القواعد

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 19.

<sup>2</sup> - بدري الحري فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 28.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 29.

التي يتشكل الكلام بموجبها"<sup>1</sup>، هي - إذن - مجموعة الوحدات اللغوية والبنى النحوية وجملة القواعد اللغوية ووظائفها. أما الكلام فهو الجزء المنقذ من تلك الذخيرة (اللغة)، فهو القول الذي يتم بموجب الاختيار من الذخيرة الذهنية وعلى وفق القواعد التي يخزنها الذهن.

فالأسلوبية " ليست فرعاً من فروع المعرفة بذاتها، بل هي أشبه بمعبر يوصل بين علم اللسانيات الذي يعتبر النصوص الأدبية مجرد مادة مستقلة تثير الاهتمام في الدراسة المتعمقة للغة وبين النقد الأدبي"<sup>2</sup>، وهي تفتح منافذ وأبواباً على مشارف المناهج النقدية الأخرى، وتسلك الباحث بأدوات منهجية يتجدد بها المستوى النقدي والبلاغي واللغوي دون تمييز ولا تسلط، فيمكن لنا أن نعتبرها مدرسة أدبية تغترف من معين الأدب والبلاغة واللسانيات.

وإذا أردنا أن نُحدّد صلة الأسلوبية باللسانيات فبإمكاننا أن نقول إنها صلة الكل بالجزء، وأنّ "اللسانيات سلطاناً على الأسلوبية تراه يُبَوِّئ الأسلوبية طاقة تجرّبها اللسانيات نحو ممارسات متجدّدة"<sup>3</sup>. ارتبطت نشأة الأسلوبية تاريخياً بنشأة علم اللغة الحديث، وبرزت في بحر هذا الزخم اللغوي اللساني على يد شارل بالي Ch. Bally - أحد تلامذة دي سوسير De Saussure المتميزين - من خلال كتابه "Traité de stylistique française"، الذي يعدّ أول مؤلّف تعرّض للأسلوب بمفهومه الحدائي، "والأسلوبية في كل هذا ليست إلا جزءاً جديداً من اللسانيات، وإنّ وجهها خاصاً من أوجه التعبير يثير اهتمام كل العناصر اللغوية"<sup>4</sup>.

كما تُعتبر الأسلوبية من أتراب اللسانيات من حيث المولد والنشأة، وأول ما نقرره في هذا المقام هو أن لسانيات سوسير Saussure - بما قامت عليه من تقديرات مستجدة، غريبة الشأن في عصره - قد كان لها مولودان، أولهما آني تلقائي تمثّل في بروز الأسلوبية على يد تلميذه بالي Bally، وهي أسلوبية تتحدد بصاحبها لما فيها من خصوصيات...<sup>5</sup>، فالأسلوبية إذن علاقتها باللسانيات كعلاقتها بالبلاغة أو أقوى قليلاً.

<sup>1</sup> - ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص: 37.

<sup>2</sup> - جيفورد هنري، النقد الأحدث من الحديث، الأسلوبية والبنوية - تر: عاصي موسى، مجلة الآداب الأجنبية - ع 121 - شتاء 2005.

<sup>3</sup> - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص: 41.

<sup>4</sup> - غيرو بيير، الأسلوبية، ص: 39.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 42.

ولقد عَدَّ " ستيفن أولمان S. Ulmann الأسلوبية موازية للسانيات، وليست فرعاً منها، تعالج القضايا نفسها التي في علم اللغة ولكن من زوايا مختلفة"<sup>1</sup>، ويرى باحث آخر أنّ الأسلوبية لم تنضج بعد لترتقي إلى درجة العلم المستقل، بل ما زالت تحتل المركز الوسط بين اللسانيات وعلم الأدب، وبهذا استطاعت أن تواجه المناهج النقدية الأخرى، لتخوض أعماق وحواشي النص الأدبي، " فاتصال علم الأسلوب بالأدب وبالعلوم الفلسفية والاجتماعية والتاريخية يعتبر استكمالاً له وينبغي أن يكون"<sup>2</sup>.

وهذه العوامل كلها تحيط بالإنسان وتلم به، وهي تَواصَل وتَربط اللغة والأدب والحياة، فالأسلوب هو الإنسان نفسه على حد تعبير (ج. بيفون G. Buffon)، "فالبحث الأسلوبي - مثله في ذلك مثل البحث اللغوي التطبيقي - يستمد بعض مقولاته من العلاقة بين اللغة والأدب من جانب، واللغة والحياة من جانب آخر"<sup>3</sup>، والأسلوبية إنما تدخل النص لقراءته وتحليله وإبراز مكان الجمال فيه بعيداً عن الأحكام المسبقة والتسلط. "والبحث الأسلوبي يقع بين علمي اللغة النظري والتطبيقي، وينتمي إليهما بالتساوي، وأنه يمثل الحلقة الوسطى في ثلاث متكامل يبدأ بالنظرية الفلسفية العامة ويُنْتَهَى بالبحث المنهجي الإجرائي، ثم ينتهي إلى الممارسات التطبيقية العملية مع نصوص محددة"<sup>4</sup>، وتشتغل الأسلوبية مستعينة باللسانيات في رحاب النص ومبدعه، وهمها كذلك أنها " تدخل في صميم المتلقي لتؤثر فيه وتعمل فيه فكراً وفناً وجمالاً من استثمارها اللسانيات الحديثة وتكنولوجيتها"<sup>5</sup>، والعلاقة وطيدة متماسكة بين هذا الثلاث؛ (المبدع، النص، المتلقي) الذي يشكل خصوصيات الفرد ومكوناته النفسية، والاجتماعية، والثقافية والبيئية. وتعتبر الأسلوبية امتداداً للسانيات، وإحياءاً للبلاغة القديمة، والكل رابط يربط هذه العلوم بالنقد الأدبي، مع ضرورة إبراز المجالات الفاصلة والحدود التي تفصل بين هذه العلوم عن بعضها ليبقى كل علم في خصوصياته، ومجالاته على الرغم من التكامل والتقاطع الضروريين للربط بين البلاغة والأسلوبية واللسانيات.

" وبما أنّ الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباطاً وثيقاً، فإنها لا تتميز بمناهج تخصّها، فالحديث عن المناهج الأسلوبية هو في الوقت نفسه حديث عن المناهج اللسانية مع بعض الحصر في مجال الأسلوبية، وقد ظلت الأسلوبية مرتبطة بمفاهيم الذوق والجودة زمناً طويلاً؛ حيث كانت تدرج في ميدان البلاغة

<sup>1</sup> - فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط 1، 1985، ص: 115.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 115.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 115.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 115.

<sup>5</sup> - الوعر مازن، الاتجاهات اللسانية ودورها في الدراسات الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، م 22، ع 4، يناير، مارس، أبريل، 1994، ص: 138.

العامة ولم تنفصل عنها إلا بعد أن اكتملت اللسانيات كمنهج واضح"<sup>1</sup>، بل إن دائرة نفوذها قد اتسعت فوجدت في العلمين - البلاغة واللسانيات - مجالا تخوض من خلاله أعماق النص الأدبي، وأنها تعطي أهمية كبرى بل أساسية للجوانب الاجتماعية والنفسية للشركاء الأساسيين في صناعة الإبداع الأدبي؛ المؤلف/النص/المتلقي.

فالأسلوبية - إذن - لها مجالات مختلفة وعلاقات متنوعة، " فمن الممكن أن نعدّ الأسلوبية فرعاً ثانوياً لللسانيات يدرس خصوصيات النصوص الأدبية ومميزاتها، ويمكن أن نجعل من الأسلوبية فرعاً خاصاً من الدراسة الأدبية التي تعتمد من حين لآخر على المناهج اللسانية، ويمكن أيضاً أن نعدّ الأسلوبية فرعاً ينتقي مناهجه بكل حرية من اللسانيات والدراسة الأدبية"<sup>2</sup>.

- يُدرّس علم اللغة على أنه نظام مجرد، أما علماء الأسلوب فيدرسون الكلام على أنه تنوعات في إطار النظام اللغوي.

- ويُدرّس على أنه نظام منفرد، أما الأسلوبية فتدرس الكلام بوصفه مجموعات متنوعة في إطار النظام اللغوي.

- يهتم علماء اللغة بإبراز قدرة اللغة على التعبير، أما الأسلوبية فتهتم بالأداء إلى التخصيص.

<sup>1</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:22.

<sup>2</sup> - إنكفست نيلس إيريك، الأسلوبية اللسانية، ترجمة: مومن أحمد، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، (د ط)، 2001، ص:21.

### المبحث الخامس:

### الأسلوبية في الدراسات المغربية المعاصرة:

#### 1- محمد العمري:

ترجم محمد العمري كتاب (البلاغة والأسلوبية) لمؤلفه هنريش بليث H. F. Plett، ولم يقتصر على الترجمة فقط، بل تجاوز ذلك إلى تقديم البحث والتعليق عليه. "لقد تجلت استفادة الباحث محمد العمري من جهود هنريش بليث H. F. Plett في الأسلوبية السيميائية بشكل واضح في دراسته النظرية والتطبيقية التي أقامها حول تحليل الخطاب الشعري. كما استفاد من الدراسات الشعرية والأسلوبية والسيميائية المعاصرة"<sup>1</sup>.

يقول محمد العمري موضحاً طبيعة عمله في الأسلوبية: "يقع عملنا داخل أسلوبية النص التي يُعتبر جاكسون Jakobson أشهر روادها، إنّ أسلوبية الرسالة هي التي يجب أن تكون المنطلق لأي تقدم نريده للأسلوبية، بالإضافة إلى ذلك فهناك واقع الدراسة الأسلوبية العربية الحديثة، التي لم تحقق بعد الاتساع والدقة، مما يصبح حصر الرؤية اصطناعياً في زاوية نظر واحدة، فقد يُعد ذلك ترفاً سابقاً لأوانه، فلئن تبين لنا بجلاء أنّ التراث البلاغي العربي يستجيب استجابة عامة لأسلوبية النص وبالتحديد للشعرية البنيوية، فلن ندخر جهداً في الاستفادة مما تتيحه الأسلوبيات الأخرى من إمكانيات، سواء ذلك عن طريق التبني أو الحوار"<sup>2</sup>.

#### 2- حمادي صمود:

ويرصد حمادي صمود الترجمة الذاتية لمسار ليو سبيتزر L. Spitzer، والفكري، وبخاصة ما ورد من ذكر في فاتحة كتابه (دراسات في الأسلوب)، وقد أشار فيه إلى المؤثرات التي جعلته يُؤسس منهجه في دراسة الأسلوب.

وعرض الباحث حمادي صمود كتاب ليو سبيتزر L. Spitzer (دراسات في الأسلوب) وهو على قسمين: مقدمة هامة جداً كتبها الناقد جان ستاروبنسكي، وفيها تحليل دقيق للكتاب. وقسم خاص بمتن الكتاب، وهو بدوره قسمان، مدخل نظري جاء في صورة ترجمة ذاتية لحياة سبيتزر Spitzer العلمية، وقد اعتمده مُقدم الكتاب اعتماداً كلياً، قسم تطبيقي جُربت فيه الأصول النظرية على الأدب الفرنسي، تنتمي إلى فترات أدبية مختلفة من فترة ما يسمى بالكلاسيكية إلى القصة الجديدة مع ميشال بوتور، وأجناس وأنماط مختلفة.

<sup>1</sup> - بليث هنريش، البلاغة والأسلوبية، ص: 08.

<sup>2</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة.. الحداثة.. العولمة.. جماليات التلقي، ص: 166، 167.

وبعد وصف الكتاب ومناقشته خلص حمادي صمود إلى القول: "...كان أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم سبيتزر Spitzer لا يستطيعون تبين المراحل التي تتم حسبها عملية القراءة، بل إنّ القراءة تتحول في الغالب إلى التقاط مباشر كلي، تحصل عنه صورة الشيء في نفس المُلْتَقِط بدون أن تكون مراتب الإدراك الواضح"<sup>1</sup>.

### 3- محمد الهادي الطرابلسي:

أما كتاب (خصائص الأسلوب في الشوقيات) لمحمد الهادي الطرابلسي ففي خطابه التنظيري الافتتاحي وجدناه مبنيًا على ما يأتي من المفردات:

- 1- ما يخص الالتزام المنهجي الأسلوبي في بحثه.
  - 2- ما يتعلق به من إجراءات (منهجية) يبيثها عن طريق أسلوب الخطاب النقيض.
  - 3- المفاهيم والمنطلقات المبدئية التي تؤلف رؤيته النقدية الخاصة بموضوعه، أي دراسة الشعر، وكذلك المتوجهة إلى الأدب ونقده، فهو موضوع الأسلوبية عموماً.
- ففيما يخص التزامه المنهجي المعلن عنه وجدناه يصرح بدءاً أنه قد لا يلتزم حرفياً بالمنهجية المفترضة في مجال بحثه، وأنه ربما يتجاوزها بالتعدي والتلطيف في الوقت الذي يجد فيه ضرورة أن يخصص الباحث لنفسه منهجاً في العمل، فيقول: "ولبلوغ هذه الأهداف يحتاج الدارس إلى علم يعمل في نطاقه ومنهج يسير على هديه أو على الأقل إلى سُنّة في البحث يسير في ضوئها وإن دعاه تقدم البحث إلى تعديل ما فيها"<sup>2</sup>.
- وهو يتخذ أسلوب الخطاب النقيض، كما أشرنا، لمواصلة بث إعلانه عن منهجه الإجرائي الذي سيتخذه في بحثه فنجدته يقول: "لكننا بحثنا فلم نجد في الدراسات العربية من الأعمال اللغوية والنقدية الشاملة أو الجزئية ما يرمي إلى الأهداف التي نرمي إليها ويتوخى الموضوعية التي على أنفسنا نشرط..."<sup>3</sup>.
- فهو يتوخى الموضوعية ويسعى إلى تحقيقها بوصفها شرطاً يكون قوام عمله كله، ويدعو بعد ذلك "إلى إيجاد علم مستحكم الأصول، وإقامة منهج يضمن به الوصول إلى نتيجة وصفها بأنها لا بد أن تكون بناءة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 171.

<sup>2</sup> - بدري الحري فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 101.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 101.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 102.

أما عن اختياراته المنهجية في ميدان الدراسة الأسلوبية فهو يقول: "إنّ ما يميزها أنه كان يقف فيها عند كل استعمال بدت عليه الطرافة في شعر الشاعر من وجه من الوجوه"<sup>1</sup>.

والطرافة في الاستعمال في رأيه تأتي من الآتي:<sup>2</sup>

- شيوع الاستعمال عند الشاعر.
- قيام الاستعمال على تجاوز بعض قواعد اللغة المطردة في القديم والحديث معا أو يتصف بالعدول عن السبيل المباشرة في تأدية الكلام بدون تجاوز لقواعد اللغة فيما يخص أصول الصحة والخطأ.
- أن يكون الاستعمال منعدم الأثر في النص أو قليل، قياسا على شأنه الشائع في كلام العرب فيكون بروزه بغيابه.

- أن يكون ملازما لوضعه الأول في اللغة معاكسا لحركة تطوره في الاستعمال.
- بروزه بدور خاص يكون له أثر في قصائد دون غيرها أو أغراض دون سواها من شعر الشاعر نفسه.
- أن يحمل عنه انطبعا حسنا أو سيئا يؤثر في نفسه عند مباشرته النص.

وفي متابعته لمسألة الشيوخ، أو التواتر، والاختفاء يكون قد سلك سبيل الأسلوبية الإحصائية في رصد الظاهرة الأسلوبية ثم إنه يتحول إلى مقولة الانزياح في رصدها، وبعد ذلك إلى أثر القارئ ويتجه في الفقرة الأخيرة إلى ما يقربه من الانطباعية في ظاهر الأمر، لكنه في الحقيقة يأخذ برأي من قال: "إن القراءة النقدية هي قراءة ذات مستوى معين من الثقافة في النص بحيث تساعد على إدراك مواطن التميز فيه، وهو ما يقربه من مقولة القارئ (النموذج) أو المتوسط عند (ريفاتير Riffaterre)"<sup>3</sup>.

وتشمل مسألة (المقارنة) النقطتين الآخرين، المقارنة بين البنيات السياقية داخل النص، أو المقارنة مع الخارج بالقياس إلى ما سواه من الأدب من جنسه أو في إطاره الثقافي واللغوي. ويحدد اتجاهه في البحث فيرسم سبيله في المجال المعرفي وهو اتجاه لغوي أسلوبي ينطلق من النص ذاته فلم يحتج، كما يرى إلى مقدمة عن الشاعر وحياته لأن سبيله إلى المعرفة هو (النص) بوصفه بنية قادرة على إقامة أجزائها ومرتكزاتها البنائية في داخلها، أي أنه متأثر بالمنهج البنيوي.

ويصرّح بأنه سيعد جداول وسيضبط النسب والأرقام والشواهد، فيعود إلى اعتماد المنهج الإحصائي بإعلان صريح هذه المرة لأنه يعتقد صحته في سبيل الضبط المعرفي للنتائج، وإذا انتقلنا إلى المنطلقات المبدئية والرؤية الشخصية فإنّ أول ما نورده هو مفهومه (أو مفاهيمه) عن الأسلوبية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 102.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 102.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 102.



وهو يقترح أن تكون الأسلوبية هي الحل لسد الفراغ في فضاء النقد العربي الحديث، فيقول: "وإنَّ الأسلوبية، أو علم الأسلوب وهو أحد ما تفرع عن اللسانيات من علوم اللغة الحديثة ليطمح إلى سد هذه الثغرة تنظيراً وتطبيقاً، وعلماً ومنهجاً"<sup>1</sup>، ثم يمهد لاختياره المنهجي ووضعه في الحقل التطبيقي إذ يعلن أنه ينبغي الوصول عن طريقه إلى بناء نظريته المنشودة على قدر المستطاع فيقول: "ولكن هذا العلم لم يثمر بعد ما به نستطيع أن نعرف بوضوح على الأقل: ما الأسلوب؟ وما حد مستويات الكلام، ما الشعر، ما النثر؟ ولذلك ارتأينا أنه من الأنجع في الوضع الراهن أن يكون سيرنا من التطبيق إلى التنظير، على عكس ما يجري به العمل عادة.. وسوف لا يكون حظنا من التنظير كبيراً..."<sup>2</sup>

ويحدد أركان قاعدة العمل في بحثه إذ يقيمها على: الشعر واللغة والأسلوب، ثم يبين رؤيته حول هذه الأركان الثلاثة بموجب مجموعة من المفاهيم أسماها (التدقيقات المميزة) وهي باختصار تشمل على الآتي:<sup>3</sup>

❖ منظور يتعلق بماهية الشعر، فالشعر بحسب رأيه ينطلق من مضمون فكري، ولكنه لا يسمو إلى درجة الفن المتميز إلا بما يتجاوز به المضمون الفكري من إمكانيات الأداء.

❖ إن كل مظهر لغوي شاع في الاستعمال (و تواتر) ولم يدخله تغيير أو تحريف منذ استعماله الأول في وضع اللغة، فأصبح من مظاهر اللغة المميزة ومن قواعدها الثابتة وعناصرها، وهو مظهر ثابت في رأيه، وهو يرجع كل مظهر من المظاهر الثابتة في الكلام إلى اللغة إذ يعده من ثوابتها العامة، فمنظوره هنا يتعلق باللغة.

❖ فيما يتعلق بالأسلوب يرى أن مضانَّ الأسلوب تكون في الجانب المتحول عن اللغة، وأنَّ المتحوّل عن اللغة في الاستعمال (أي الكلام) يكون ذا أشكال عديدة فمنه مثلاً ما هو متحول عن قاعدة نحوية ومنه ما هو غير ذلك.

ويستقطب المتحوّل عن اللغة كما يعتقد نوعين على الأقل:

➤ المتحول المشترك:

ويضم الاستعمالات التي شاعت في كلام منشئ معين، أو كلام عدد من المنشئين في عصر من العصور أو في نوع خاص من الإنشاء.

<sup>1</sup> - بدري الحري فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 103.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 103.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 103، 104.

### ➤ المتحول الخاص:

وهو أقل شيوعاً من الأول، فليس لاستعمالاته حظ من التواتر عند الكتاب سوى ما يكون عند صاحبه وقد لا يكون لها ذلك عنده أيضاً، فهو يقع في خانة الخطأ أو اللحن، وقد وصف جملة المفاهيم تلك بقوله: "هذه منطلقاتنا العلمية ورؤانا الشخصية".<sup>1</sup>

أما عن أهدافه المعلنة التي يسعى إلى تحقيقها من خلال بحثه بموجب المنهجية العلمية المزعومة فقد تمثلت باختصار في الآتي:<sup>2</sup>

❖ يرمي إلى دراسة اللغة العربية دراسة موضوعية، إذ يعدها نظاماً في الاستعمال الشعري لدى شاعر معين ليميز خصائصها الإجرائية وإمكانياتها، ويسعى من خلال عمله إلى إدراك (السبيل إلى إثراء رصيدها العام من ناحية وإلى بناء الأساليب الخاصة المميزة انطلاقاً من إمكانيات اللغة المشتركة من ناحية أخرى).

❖ وفضلاً عن ذلك كله يعلن أنّ هدفه هو (تأسيس الأسلوبية التطبيقية في اللغة العربية لما لها من دور في وصف نظام اللغة وفي المساهمة في تركيز أحكامها العلمية ومنطلقاتها المنهجية).

❖ إنّ منطلقاته الفكرية في خطابه هذا تحمل في مكوناتها الأساس عنصري العلمية والموضوعية، وقد اتخذ سبيله إلى ذلك بإجراء آلية متسقة مع ما عدّه من المفاهيم وأعلنه من الأهداف.

فكانت الموضوعية منطلقاً مبدئياً في منهجه المعلن وضابطاً معرفياً، بمعنى أنها عنصر أساسي في خطابه الافتتاحي، وقد سعى من خلالها إلى تحقيق فاعلية السلطة (العلمية) العليا في فكره، إذ أنّ منهجه في البحث كما يصرح ذو (اتجاه أسلوبي ينطلق من النص ذاته).

### 4- توفيق الزيدي:

خصّص الباحث توفيق الزيدي في كتابه (أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث) الفصل الرابع (للأثر الأسلوبي) في النقد العربي الحديث وحدد المقولات التي يبنى عليها الأسلوب وهي ثلاثة مقاييس: الاختيار، والتركيب، والاتساع.

وعاد إلى آراء الأسلوبيين الغربيين في هذه المقاييس؛ ومنهم ليو سبيتزر L. Spitzer الذي يبرز الأسلوب كممارسة عملية لأدوات اللغة، وهو بذلك ينفي عنها صفة العفوية والمجانية، ثم "ماروزو" الذي يَعدُّ الأسلوب موقفاً يتخذه الباحث مما تعرضه عليه اللغة من شتى الوسائل التعبيرية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 104.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 104.

<sup>3</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 43.

وأشار الباحث إلى آراء النقاد العرب ومنهم خلدون الشمعة الذي يرى " أنَّ الأثر الأدبي ظاهرة فنية تختلف عن الظواهر الطبيعية، وخصوصيتها تتأتى من خلال اللغة الأدبية التي تستعمل قناة لإبلاغ معين، وهي يحكمها قانونها الخاص مما يجعلها ظاهرة فنية تتميز بصفات معينة في كل خطاب، وهذا ما ينحو بالأثر نحو الاستقلالية والإنفراد بميزات خاصة"<sup>1</sup>.

#### 5- حميد لحداني:

أقام الباحث حميد لحداني مبحثا خاصا باللغة والأسلوب في الحكيم، وذلك في كتابه (أسلوبية الرواية) من وجهة نظر بيير زيماء Pierr V.Zima، ويرى لحداني أن المبحث له علاقة بالجانب البنيوي في دراسة الحكيم لأنه يركّز على المكونات الداخلية وأهمها: لغة الحكيم، وأسلوب الحكيم.

ويستعين أيضا بآراء النقاد الذين تناولوا هذه الظاهرة ومنهم بارت Barthes الذي عالج العلاقة بين اللغة والحكي، وتناول نحو الجملة، ونحو الخطاب الحكائي، وذهب إلى "أن أسلوب الرواية متعدد يشمل عددا من اللغات وعددا من الأصوات، والمنهج الكفيل بظاهرة أساليب الرواية هو الأسلوبية، وأسلوبية الرواية"<sup>2</sup>. ويمهّد لحداني للانتقال إلى أسلوبية الرواية بقوله: "هناك ميل واضح إلى التأكيد على أنَّ بلاغة الرواية إذا أُريد لها أن تصبح علما جديدا قادرا على استيعاب تقنية الرواية ومقوماتها الجمالية، عليها أن تتحول إلى ما يمكن تسميته بأسلوبية الرواية"<sup>3</sup>، فهي (أي أسلوبية الرواية) بهذا المعنى مرحلة متأخرة نصل إليها بعد تجاوز مرحلة بلاغة الرواية.

وعن أثر الدراسة البلاغية في النقد الروائي الحديث يرى أنه "إذا كانت رواسب البلاغة القديمة قد بقيت في الدراسة الأسلوبية للشعر والنثر الفني فإنها أُلغيت تماما مع الدراسات الروائية"<sup>4</sup>. وكلامه هذا يوضح السبب في إقامة معظم الدراسات الأسلوبية حول الشعر أكثر من غيره من أجناس الأدب الأخرى، مثلما وُجد في النقد العربي الحديث.

#### 6- محمد خطابي:

يؤسّس محمد خطابي خطابه النقدي الأسلوبي في كتابه (لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب-)، اعتمادا على آراء فان ديك وأطروحاته في انسجام الخطاب وهي تقوم على الشكل التالي: "الخطاب ويتفرع إلى وظيفتين دلالية وتداولية، وتحوي الوظيفة الدلالية العناصر التالية:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج1، ص: 43.

<sup>2</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة.. الحداثة.. العولمة.. جماليات التلقي، ص: 174.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 91.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 91.

الترابط والانسجام، والبنىات الكلية، أما الوظيفة التداولية فتحتوي: السياقات والأفعال الكلامية، تداوليات الخطاب، والأفعال الكلامية الكلية"<sup>1</sup>.

ومثلما استفاد الباحث محمد خطابي من الدراسات الغربية في تحليل الخطاب، استفاد من الدراسات العربية ومنها "البلاغة، والنقد، وعلم التفسير، وعلوم القرآن، وقد استلهم من هذه الحقول المعرفية ما يتناسب ونظرية تحليل الخطاب الذي هدف إلى تأسيسها من منظور المزاوجة بين إسهامات المعارف الغربية المعاصرة في اللسانيات الوصفية، ولسانيات الخطاب وتحليل الخطاب والذكاء الاصطناعي، والإسهامات العربية في البلاغة، والنقد، وعلوم القرآن، وما أسسته من إجراءات ومفاهيم في تحليل الخطاب"<sup>2</sup>.

وقد أردف الباحث هذه الإجراءات بشروح لأهم مكوناتها استوفى من خلالها تحديد العلاقات بين عناصر الخطاب للاستئثار بانسجامه، كما حدد ذلك فان ديك ومن سار في اتجاهه من الباحثين المؤسسين (للسانيات الخطاب) أمثال: (م.أ. هاليدي و رقية حسن)، لهما كتاب مشترك بعنوان (الاتساق في اللغة الإنجليزية Choesion in english) صدر عام 1976، وهو كتاب يتألف من مدخل وسبعة فصول، خصص المدخل لتحديد بعض المفاهيم مثل: "النص والنصية، والاتساق، وخُصصت ستة فصول لبحث مظاهر الاتساق التالية: الإحالة، والاستبدال، والحذف والوصل، والاتساق المعجمي، والاتساق المعجمي، ومعنى الاتساق، أما الفصل السابع فقد حللت فيه نصوص متنوعة، تطبيقاً لما صيغ في الفصول النظرية"<sup>3</sup>.

إنّ بحث محمد خطابي جهد علمي واجتهاد رائد في الحركة اللسانية والنقدية العربية المعاصرة فهو "لا يركن إلى المنجز من الفكر اللغوي والنقدي والبلاغي العربي، كما لا يستسلم بخنوع إلى المنجز من الدرس اللساني الغربي، بل يتمثل الفكرين معاً"<sup>4</sup>، ويجادل من منطلق سجالي، ويبني على المتراكم من المعارف نظرية منسجمة تبحث في انسجام الخطاب الأدبي والخطاب الشعري على الخصوص.

## 7- عبد الملك مرتاض:

أما عبد الملك مرتاض في كتاب (الأمثال الشعبية الجزائرية) فقد أوماً إلى عدة أصناف من الأسلوبية، لكنه اكتفى بالخوض في صنفين اثنين " ( لا يخلوان من عدول عن الترجمة الحرفية الشائعة وربما من تعديل طفيف في موضوع كل صنف كذلك)، هما (الأسلوبية التاريخية) التي يجعلها مقابلاً

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص: 175.

<sup>2</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص: 70.

<sup>3</sup> - نفسه، ج2، ص: 70.

<sup>4</sup> - نفسه، ج2، ص: 71.

للمصطلح الأجنبي S. Génétique (وكان الأشيع والأمثل أن يقول: أسلوبية تكوينية)، ويجعل موضوعها الجواب عن السؤال: لماذا يكتب الكاتب؟ ثم (الأسلوبية الوصفية) التي تجيب - في نظره - عن سؤال آخر هو: كيف يكتب الكاتب؟<sup>1</sup>.

لعل مثل هذا الكلام تبسيط إشكالي من شأنه أن يُخلط المفاهيم، لأن الجواب عن السؤال الأخير قد يكون أيضا من اختصاص الأسلوبية الأولى (والتي يسميها مرتاض تاريخية، ويسميها آخرون: تكوينية أو أدبية، أو نقدية، أو أسلوبية الفرد، أو أسلوبية الكاتب)، كما أن السؤال الأول (لماذا يكتب الأديب؟) قد تضطلع بالإجابة عنه أسلوبية أخرى يسميها غيرو Guiraud (الأسلوبية الوظيفية)، ويمثل لها بجهود رومان جاكوبسون R. Jakobson.<sup>2</sup>

#### 8- رابع بوحوش:

أما بحث رابع بوحوش (الخطاب الأدبي - دراسة أسلوبية -) فهو بحث يعرف بالأسلوبية نظريا ثم يتخذها وسيلة منهجية لتحليل نص أدبي من التراث العربي، ويعرف بالأسلوبية "أنها علم يرمي إلى تحليل النص الأدبي من الأحكام المعيارية، ويهدف إلى علمنة الدراسة الأدبية"<sup>3</sup>. وانطلاقا من تحديد طبيعة الأسلوبية وماهيتها ومركزاتها في التحليل، يقدم الباحث مقاربة أسلوبية عن نص الأصمعي: (أعرابية على قبر زوجها) فيرى أنه نص متميز بنمط من التفاعل البنيوي والدلالي، إذ أول ما يلفت انتباه القارئ فيه هو تمازج السرد والشعر، وتداخل الأغراض والأساليب، ثم يشرع في تحليل النص مشيرا إلى خصائصه الفنية والجمالية، متتبعا كيفية البناء الأسلوبي فيه، مركزا في تحليله على مكونات النص اللغوية، فتناولها وفق تدرجها اللساني، وهي الجوانب الصوتية والمورفولوجية والتركيبية والدلالية، والجدير بالملاحظة في هذه الدراسة الأسلوبية هو "القدرة التأويلية التي يظهرها الباحث، والتي تعمق رؤية النص، وتيسر فهمه، فتسهم كل وحدة لغوية منه في إثراء معناه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 186.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 186.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ج2، ص: 150.

<sup>4</sup> - نفسه، ج2، ص: 150.

## 9- عبد الحميد بوزوينة:

ومن الدراسات التي اعتمدت الأسلوب الأدبي موضوعا لها بحث عبد الحميد بوزوينة حول: (بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي - دراسة وصفية تحليلية فنية-).

استقام البحث على خمسة فصول؛ تضمن الفصل الأول الحديث عن طبيعة البناء العام للمقالة الأدبية، كما تبدو في (عيون البصائر) ومختلف العلاقات التي تتحكم في أجزاء المقالة ونموها الداخلي. وتضمن الفصل الثاني دراسة البنى الإفرادية، وسر اختياراتها ووظيفتها البنيوية والدلالية، واشتمل الفصل الثالث على دراسة البنى التركيبية والوقائع الأسلوبية التي تنتظم فيها المفردات، مع تحديد أسرار البنية التركيبية في نثر الإبراهيمي.

وتناول في الفصل الرابع الظواهر الصوتية في (مقالة الإبراهيمي) وأبعاده الإيقاعية والجمالية، ودرس في الفصل الخامس الصورة جماليا ووظيفيا، ويرى في هذا السياق أن أساس شاعرية النثر يكمن في طريقة استخدام اللفظة في النص الأدبي<sup>1</sup>، وهو في هذا المجال يتمثل قول (صلاح فضل) الذي يرى أنه: "ليس هناك كلمة شعرية وأخرى غير شعرية وإنما هناك أساسا (تشعير) للكلمات المستخدمة"<sup>2</sup>، ويحدث تشعير الكلمات - بإعطائها بعدها الشعري - من خلال تركيبها وفق نظام لغوي مخصوص، كلما كان هناك إتقان في صناعة الشعر أو النثر كلما حقق الخطاب شعريته، وأحدث في المتلقي تأثيرا جماليا خاصا.

لقد عزز عبد الحميد بوزوينة بحثه بجداول وإحصائيات مكنته من رصد الظواهر الأسلوبية في مقالة الإبراهيمي ومكنته من وصف التشكيل اللغوي وطرائق النظم، هذا بالإضافة إلى ما قام به من إحصاء دقيق لبعض الظواهر "والإحصاء جانب مهم - في اعتقادنا - في دراسة الظواهر الأسلوبية لأنه يضع يد الدارس على الحقائق اللغوية المستخدمة، ويحدد كثافتها وتواترها مقارنة مع الظواهر التي تظهر بصورة قليلة، وليس الإحصاء المجرد مُمهّما إذا لم يُعزز بتحديد كيفية تشكيل الظواهر الأسلوبية، وتحديد الوظائف التي تقوم بها"<sup>3</sup>.

ولم يغفل الباحث عبد الحميد بوزوينة هذه الخصائص في التحليل، إن ما يطبع هذا البحث هو "الاستعمال الموفق للأدوات الإجرائية في التحليل الأسلوبي الذي يجعله يحقق صفة العلمية عن جدارة على صغر حجمه وعدم إسهابه وتفضيله الحديث في جميع الظواهر الأسلوبية في مقالة الإبراهيمي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص: 158.

<sup>2</sup> - فضل صلاح، نظرية البنائية، ص: 399.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج2، ص: 159.

<sup>4</sup> - نفسه، ج2، ص: 159.

## 10- نور الدين السد:

يرى نور الدين السد في كتابه (الأسلوبية وتحليل الخطاب) أنّ "الأسلوبية هي الوجه الجمالي للألّسنية، إنها تبحث في الخصائص التعبيرية والشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي، وترتدي طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكل موضوعي ومنهجي"<sup>1</sup> وخلافا لغيره من الباحثين، فإنه يمعن في "التمييز الدقيق بين الأسلوبية والبلاغة من خلال شكل تخطيطي يقوم على سبعة عشر عنصرا كاملا تتمحور عليها المفارقة الكبيرة بين العلمين؛ كأن تكون البلاغة علما معياريا، تعليميا، نمطيا، تصنيفيا جاهزا، تجزيئيا... وتكون الأسلوبية علما وصفيا، وضعيا، تحليليا، شموليا..."<sup>2</sup>.

ثم يميّز تمييزا مفصّلا بين أربعة اتجاهات أسلوبية هي: "الأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية النفسية، والأسلوبية البنيوية، والأسلوبية الإحصائية"<sup>3</sup>.

مع دعوته الضمنية إلى أسلوبية جديدة تركيبية أو تكاملية ويسمّيها (السيمائية الأسلوبية): "...إننا نقترح المنهج السيميائي الأسلوبي وسيلة علمية، ومنظومة تحليلية ومعرفية متمكنة من آلياتها الإجرائية لتفكيك مكونات الخطاب وتحليل بناء السطحية والعميقة، وتحديد وظائفه وأبعاده ورؤاه... ، مقترحا إياها اعتمادا على الباحث باتريك إمبار P. Imbert الذي وضع مصطلح (Sémiostyle)، وطبقه - عام 1980- على أساليب بلزاك، وفلوبير، وزولا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - وغليسي يوسف، مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2009، ص: 88.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 88.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ج1، ص: 117، 60.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 88، 89.

